"في عيون هاشمية "

هاشم هو الأخ الأصغر بين شقيقين ، من عائلة أشبه بالفقيرة ، تسكن منطقة نـجد

مواليد ١٩٦٤ (الرياض)

""طفولته البائسة "

كان عمر هاشم سنتان عندما ماتت أمه في حادث مروع وهو الغرق ، إثر سيول اجتاحت المنطقة آنذاك ١٩٦٦، وكان ، هاشم يحتاج للرعاية الضرورية ، فتـكفلت سارة (جارتهم) بتربيته

أبوه يعمل في سلك السياسة وتدرج بالمناصب إلى أن أصبح (سفيراً) بالسفارة السعودية بالصين .وسالم أخوه الأكبر هاجر هو وزوجه الى الهند ليدرس الطب ويستقر في مدينة كيرلا.

أما محمد أخوه فهو يعمل في سلك الشرطة ..في منطقة عسير ..

عـاش هاشم في بيت جيرانه ، وأبو ناصر قد أحبه حباً جماً ،

هاشم كان يعيش حياة بائسة ، فكثير من المواقف السيئة تحدث له وأبناء الحارة ، يطلقون عليه (ابن بالتبني) سخرية وأستهزاءاً به لأنه يعيش في بيت جيرانه.

وكان في إحدى المرات وهو قادم من المدرسة القريبة استوقفه مجموعه من الأطفال ، وأخذوا يلقون عليه وابل من الشتائم التي تجرح الطفولة البريئة فيه، وذهب يبكي إلى المنزل ، وكان يرى هذا المنظر أبو ناصر ، فأخذه وأحتضنه ومن بعدها أشتد حرص أبو ناصر عليه

..مع ذلك كان حب أبو ناصر كفيل بأن يزيح عنه هذه المواقف ..فهو كان بمثابة أبيه ..

مرت الايام ونجح هاشم من الابتدائية ، وقد رأى أبو ناصر أن لدى هذا الهاشم إرهاصات تشير بأنه شخص سيكون له شأن كبير بالمستقبل ، كان هاشم يحب القراءة ، وكثير الاطلاع وكان يقرأ بشغف الكتب التي يجلبها أبو ناصر من المكتبة وهو في سن صغيره (١٥ سنة) ..

في إحدى المرات ، أخذ أبو ناصر هاشم معه ، إلى حيث يعمل بالمكتبة ، وكان هاشم سعيداً جداً ، يريد أن يطير من السعادة التي غمرته ، وهو يتصفح الكتب العلمية ، والأدبية والجغرافية ، وشتى العلوم ..ويقرأ بشوق !

هاشم عاش معظم حياته ما بين الدراسة والمكتبة.

وفي عام ١٩٨٧

ألتحق هاشم في الجامعة العربية وتخصص في قسم الفلسفة ، لم يكن يحب الفلسفة لكن ! أراد أن يجرب هذا القسم الجديد ، قال له أبو ناصر في إحدى المرات يا ابني إن كنت تود دراسة هذا القسم ، فعليك أولاً أن تكون (متأملاً بطبيعتك) كان هاشم يستمع دوماً لأبو ناصر ويطيل الجلوس معه ، ليستفيد من كلامه ..

بدأ دراسته في الجامعة ويوماً بعد يوم يُظهر للجميع أنه الأفضل في قسم الفلسفة ..وفي الجدال

كان يناقش الأساتذة في مسائل عقدية ومنطق ونظريات وكان لا يتوقف عن طرح الأسئلة ..

في أحدى المحاضرات كان يناقش الأستاذ "خـالد " وهو بروفيسور في التربية والآداب

كان يتحدث الأستاذ خالد مع أحد الطلاب ويقول له :لو كان هناك شخص سيئ الخلق والتربية ، وتم وضعه في مجتمع محافظ ومهذب اجتماعياً ويقدس العادات ..كيف يتصرف هذا الانسان أو كيف يكبت رغباته والتي لا تتوافق مع عرف هذا المجتمع ؟

قال الطالب :حسناً بالتلقين على العادات الجديدة والتكيف البيئي !

رفع هاشم يده. أستاذ هل لي أن أجاوب ..

حسناً يا هاشم ..قل ما عندك ..

أولاً التـربية شيء وما يتوافق مع الأهواء شيء أخر !

كيف ذلك يا هاشم ..هل لك أن توضح !

نعم سأوضح يا أستاذ

أقصد مفهوم الأفكار التي لا تتوافق مع التربية أو المجتمع الذي تعيش به ..

فكثير من القساوسة تجدهم من المتحرشين بالراهبات والأولاد القصر ! فهذه التربية والتورع الديني الذي تلقوه طوال حياتهم ..لم يشبع رغباتهم ولم يوهمهم بما هم عليه الآن !

بل إن الضغط هو الذي يولد الانفجار ..فهم تزهدوا بشكل مبالغ ، وكان الغلو عندهم بشكل عميق ..وكلنا نعرف قصة النصارى وغلوهم الذي يلفت النظر في عيسى عليه السلام وقولهم هو ابن الله !!

ولكن يا هاشم كيف نكبت شهواتنا أو هفواتنا التي لا يتقبلها المجتمع والتي يجب علينا إظهارها أو التنفيس عنها من وقت لآخر لأنها رغبات ..؟

أستاذ خالد

كثير منا يملك شيء معيب لا يود إظهاره في المجتمع وكثير منا يخفيها .صفة سيئة أو عادة قبيحة لا تتوافق مع المجتمع ..حتى في الملبس !

فلك أن ترى من يسافر من مجتمع متحفظ إلى مجتمع منفتح ..سيكون يا أستاذ أسوء من أسوأ العينات التي تعيش في المجتمع المتفتح ! !

سدد وقارب يا أستاذ خالد ..التنفيس ليس شرطاً ان يكون تنفيساً عن الشيء نفسه ! بل التنفيس عنها يكون بالابتعاد من الشيء نفسه ..فالمتدين عندما يرجع لحياته الحقيقية أي يكون مجرد محافظاً على صلواته ، فلن تجده يسارع إلى المنكرات! بل سيجد أنه مقصر تجاه دينه ويحافظ على الصلوات بشكل مستمر ويعاتب ضميره بشأن تقصيره بالطاعات الكثيرة ؟

على عكس من لا يكون متديناً ، فستجده يسارع إلى المعاصي ويرى أنها شيء عادي ..

وكيف يكون المقياس يا هاشم بين هذا وذاك !؟

يعرف أستاذي بالنقيض ..فالتدين بدون غلوا هو دين ومنهج يكون الانسان فيه حراً في عمل الطاعات وتكون فيها المعاصي كبائر بنظره . ! ولذى تجده بعدما يقل تدينه يكون إنساناً مستقيماً

والتدين مع غلوا ..هي نكسه يعقبها تحرر من جميع العبادات ! لأنه حرم نفسه جميع الرغبات ! !

أحسنت يا هـاشم ..جداً أقنعتني ..

أنا أتعلم منك يا أستاذي خالد وهذه مجرد معلومات قرأتها من هنا وهناك ..(حاكاً رأسه بيده اليسرى وقليلاً من الحمرة تكسوا بشرته ..)

مرت الأيام والشهور وهاشم لا يزال يذهب من مكتبته إلى الجامعة ثم إلى المنزل

تحضيراً للندوة الثقافية الكبيرة التي ستحصل نهاية الشهر الجاري في المكتبة العامة

وستحتضن هذه الندوة من كبراء المثقفين ..وهو أحمد وأشتهر بغطرسته !

وأقترب الموعد لكن الموعد الأهم له بالنسبة كطالب كان قدوم الاختبارات النهائية في الشهر الثالث..!

بعد أسبوع كامل من الضغط النفسي ، والمذاكرة ..رسب هاشم في جميع مواده عدا مادة الفلسفة ..

لا يعلم كيف يبرر هذا الرسوب لعمه أبو ناصر ! ! فهو لم يدرس أساساً لأن معظم وقته كان يقضيه في المكتبة...

بعد أسبوع الاختبارات جاء موعد الندوة الثقافية وتمت دعوة جميع طلاب الجامعات وأولياء الامور والشخصيات ، والصحافة وغيرها وتم التحضير لهذا اللقاء في اليوم التالي

كان يرتعد خوفاً ورهبه ..وكيف لا يرتعد وأمامه نخبة من المثقفين الذين أعتدنا على مشاهدتهم في التلفاز ..ويجلسون على تلك الطاولة الكبيرة وبجانبها الكثير من الكتب التي يتعين علينا قراءتها مدة لا تكاد بالقصيرة . كان المكان مكتظاً جداً ..وهو الشاب الصغير ، الذي ينقصنه الكثير ..ولا يزال ينتفض في مكانه من شدة الهول ! !

..كان المثقف (البارع)..هكذا كانت الأغلبية من البسطاء والدراويش يطلقون عليه يتكلم ويتشعب في الأمور الثقافية ..والجمهور العامي لا يعرف سوى أن يصفق بكلتا يداه كلما بدأ المثقف بتعديل غترته المليئة بالنشاء!.

كان أبو ناصر (الحارس) يقول لي :أنت أكثر شخص قد رأيته في هذه المكتبة، لأكثر من خمس سنين ..بادر بجميع تلك الأسئلة التي دونتها ..لهذا اللقاء ..قلت له ..(ويحك يا هذا) إني أصغر من أقف أمام هذه الرسمية والفلاشات والجمهور الكثير..

ثم بعد دقائق ..أيقضني من غفلة توتري صوت أحد المثقفين الإعلاميين "سيكون هناك نقاش بين أحد الأشخاص وبين المثقف البارع ..الدكتور الأستاذ أحمد الخالدي ..(النقاش عبارة عن سؤال من الطالب وإجابة من المثقف والعكس أيضاً إلى أن تنتهي هذه المناظرة .

أخذ أبو ناصر المايكرو فون وهب مسرعاً ، ومتخطياً تلك الأيادي المرفوعة إلى أن وضع المايكرو فون في حضني وقال ...قد حانت فرصتك ...

قمت بسرعه ..لم أنتهي من توتري وحسب بل ..كاد أن يسقط مني المايكرو فون ..

قبل أن أبدأ السلام ...استغفرت ثلاثاً وصليت على محمد صلوات ربي عليه ..(سراً بيني وبين نفسي) ثم لا أعلم كيف جاءني هذا الفتح من ربي ..تذكرت مقولة أبي ، نزلت علي وكأنها وحي) يا بُني عندما توقن أنك معرض لشيء خطير. فأقلب الطاولة ، وتصرف كما أنك لو كنت شخصاً أخر ..لينقلب إليك الخطر لمصلحة !..

بدأت السلام بثقه ..قائلاً لنفسي ..ما هو أسوأ شيء سيحصل لي!..

رد الجميع بتحية الإسلام ..ثم بدأ نقاشي مع المثقف المتُرع بالمعرفة..

أحمد المثقف /هاشم الطالب

يا هاشم .. الأخلاق أم المبادئ ترى أنها مهمه للإنسان ؟

بالطبع الأخلاق هي الأهم ، فالمبادئ هي شخصيه بحته ، ربما تتحدث مع شخص وتجد اخلاقه جميله ، ثم ما إن تتعرف عليه أكثر فأكثر ..تجد أنه ملحد!..

دكتور ..أحمد ...ما هي الثقافة ..أهي معلومة أم فكر

بالطبع يا هاشم الثقافة هي معلومات جمه ..ومعرفة واسعه لكل الأشياء التي تدور حولك.

نفس السؤال يا هاشم لك ..ماهي الثقافة..

دكتوري ومعلمي ..الثقافة هي روح التعلم ، هي الرقي والأخلاق لله ..الإسلام ثقافه عريقة، الثقافة هي الفكر ..هي النقاش الهادف ..هي الإصلاح الاجتماعي والذاتي ..هي ليست معلومات وحسب !..فالكمبيوتر يحمل معلومات لا يعلمها إلا الله ..لكنه لا يستطيع أن يكتب ..وأن ينتقد أو يُنقد ..وأن يشعر بالثقافة..

دكتور أحمد ..كم كتاب قرأت ..وما رأيك بالرواية!!...

يا بُني ..قد قرات ألف وخمسمئة كتاب قد أعطتني خارطة رقمية للواقع كي أفهم. فأنا وأعوذ بالله من كلمة أنا ! أتمنى لو كان هناك أشخاص بمثل معرفتي كي نخدم المجتمع بما نملك من ثراء معرفي واسع ! ويد واحدة لا تصفق !

لم أسمع بعدها إلا أصوات التصفيق من الجمهور ولا أعلم هل امتعاضاً ! ! أم مجامله لهذا الجبروت المتغطرس .

هنا أبو ناصر عض على شفتيه مقهوراً وكأنه قال لي يا هاشم عليك به..

ثم أكمل كلامه قائلاً ..ورأيي بالرواية مجرد خيال تبحر فيه كي تخلق لك مجالاً مغناطيسياً وكأنه باب بين الواقع والخيال..

هـاشم ماهي الرواية!..

دكتور أحمد الرواية ..هي حياة أخرى تعيشها أنت ..بلا موت بل في شقاء وسعادة وحب وعشق واحداث حقيقية تجري في عقلك ..بعضها تستطيع تطبيقه في واقعك من حكم و مواقف و سلوكيات ..وبعضها تتغنى به ..ليترجم لك واقعاً أشبه بالخيال من قصائد ومن فلسفة ومن حكم تحتفظ بها لنفسك ....الرواية يا سيدي هي صقل الشخصية الروحية والفكرية ...للفرد..

وعنـدما هــممت بآخر سؤال قـاطعني المنسق وقال ..انتهى وقتك ..لكن أرى الجمهور بدأ بالاعتراض على المنسق ! مندديين بأن أكمل ما وددت أن أقوله ثم طلب مني أن أكمل .فقال الدكتور أحمد ..دعه يقول سؤاله..

فـقلت يا دكتور أحمد ..كيف يضع الانسان كفة التوازن ..بين العلم والتواضع ...وهل التواضع مكتسب أم فطري ..!؟ لأني أرى أمثالكم لا نرى لهم إنتاجاً ملموساً ! سوى خسائر باهظه من احتفالات وفلاشات وقرابين مكلفة من بوفيهات وذبائح !..

إين أنتم من المجتمع ..!

عندها بدأ الدكتور بالغضب وبدأت ملامحه بالاحتقان وبدأ متوتراً وقام متحفظاً على مثل هذه النقاشات الشخصية (بحسب كلامه) وملتفتاً إلى المنسق طالباً منه رد الاعتبار !.

..صاح المنسق (رجال الأمن) بعدها روميت المايك ، وهربت مسرعاً ، وجاءني صديقي أبو ناصر (حارس المكتبة) فقال بخوف هيا اتبعني ..ستتسبب بفصلي، لكنه كان مؤيداً لي ويتبسم تبسم المنتصر .. ..هربت مسرعاً والأجواء مشحونة ..ومنهم من بدأ بالتصفير مؤيداً لوقاحتي ، ومنهم من بدأ بتجهيز تقرير كامل عما فعلت كي أكون (سيرة في المجالس ! !)

انتهت المناظرة ..بهرب هاشم ! !

وها هو الآن ، في منزله خائف ومرتعد ماذا صنع ، وكيف سيصنع غداً ، وزملائه وأساتذته الجامعية قد حاضروا هذا الحفل ..الأدبي

نـام ليلته بين أحضان ذلك الكتاب وأستيقظ صباحاً على صراخ (أم ناصر)وهي تتجادل مع زوجها وهاشم يسمع تحاورهما من خلف الباب (قد سئمت العيش معك ..أريد الطلاق ولا غير الطلاق ...راداً عليها بتودد يا حبيبتي وطفلتي أرجوك إهدأي سأعد لك طعام الإفطار ..

لبس هاشم على عجاله وذهب إلى الجامعة لكنه قد تأخر قليلاً ، ودخل مرتعباً ومترقباً ويلتقط إشارات التوتر كالرادار في عينيه ..كان يمشي مسرعاً ، ..بعدما وصل لتلك القاعة الكبيرة طرق الباب ..ودخل ، لكن المصيبة أن وقعت عيناه في عيني أستاذه الفيلسوف والذي

كان يتكلم العربية بطلاقة (ليون)وكان ليون أمريكي متعصب لكنه يخفي ذلك ، لكن هاشم قد عرف توجهاته الحزبية ..!بدهاء غريب !

تقدم هاشم على استحياء وهو لا يسمع إلا همساً من الطلاب .(أنظر هذا الوقح الذي كان بالأمس..!

وجلس في مقعده ..وكانت محاضرة اليوم بعنوان ...(المنطق والسببية) كان الفيلسوف يشرح ويكتب على البورد

بعد عدة دقائق هاشم كان منهمكاً في (مراجعة ما فعل) إلا أن صوت الفيلسوف ايقظه قائلاً (يا هـاشم ..يا تُرى هل من المنطق أن نبرر ما نفعل بمنطق أخر أو سببيه حتميه !

نهض هاشم مستعداً طاقته بشهيق طويل وتركيزه المرهق قائلاً ...السببية الإلهية .. تقول أنه لا بد أن ينتصر واحد من اثنان ..إما منطق مؤقت (وهو الشر) وهو إما بقوة اقتصادية أو تمكين سياسي وجيشي ..وإما سببية حتمية (جعلها الله قوة الخير في نهاية المطاف) .

يا دكتور أستطيع أن أحتل بلدك بداعي منطق (الحفاظ على الأمن العام)..وأستطيع أيضاً أن أسيطر على ثروات إنتاجك الصناعي بداعي (مـنطق موازنة الاقتصاد العالمي ..)

أن تبرر خطأ بخطأ ..هذا منطق ملتوي ..وكلمة حق يراد بها باطل..

هـنا قاطعه ليون...إذن يا هاشم ..برر لي ما فعلته بالأمس ! ظن ليون أنه قلب الطاولة على هاشم ..تعالت أصوات الطلاب سخرية من هاشم ومؤيدة للحركة العبقرية من الأستاذ ..

هـاشم ضحك ضحكاً شديداً لدرجة أن زملاءه تعـجبوا منه ..!

هاشم بعد الانتهاء من الضحك الهستيري الذي أصابه ..قال (غراب يعلم شخص كيف يدفن أخاه ..وهدهد يخبر نبي بعلم لا يعلمه ..وشخص بسيط ينام على شجره ..يربي نبي على الصبر ..)

فهل هذا لا يستحق الضحك ..ليس استهزاء ..لكن لتعلم أن مهما ارتفعت قيمة الشخص بمنصبه لن ينال العلم إلا بتوفيق من الله وتواضع كبير ..وما فعلته إلا إرضاء لضمير العلم نفسه ...

ليون ..رد مندهشاً ..اجلس يا هاشم ..

انتهت المحاضرة وخرج جميع الطلاب ..لفترة الاستراحة ..لكن هاشم بعد خروجه ناداه حاجب الجامعة ..قائلاً ..(هيئة التدريس ومدير الجامعة يريدونك الأن ..)

ذهب هاشم مخاطباً نفسه (سأدافع عن نفسي مهمها تطلب الأمر !)

دخل غرفة المدير الفسيحة والتي تتسع لعشرين رجلاً ..رأى وكأنه في مكان مثالي ...مكيف ومكتب وكرسي مريح ومعطرات جو وبرادة ماء ..تبسم هاشم ...قال له المدير اجلس يا بني

ولما أراك تتبسم عند دخولك ...

قال هاشم عجيب جداً أن أرى طبقة الأغنياء تفصلهم بضعة غرف عن طبقة الفقراء .(وهو يقصد قاعة الزملاء التي تفتقر إلى ضروريات التعليم الحديث) قال المدير سأقول لك ما لا يسرك ...وبداية دعني أشكرك على ما فعلته من درس عظيم لذلك المتملق الجاهل ..لكن هذا لا يقصي عنك العقوبة الاجتماعية ..وقد تقرر فصلك نهائياً ..

قام هاشم غاضباً جداً ...قال للمدير بنبرة حادة ..(يا مدير الحق أينما وجد فهو محارب) وخرج راكلاً الباب بقدمه ومتمتماً (القدر سيتفق معي آجلاً غير عاجل)

لحقه الأستاذ خالد من غرفة المدير ..وقال لن أتركك وحدك ..يا هاشم ..ما رأيك بالعمل في صحيفة عمي موسى وهو يحتاج لصحفي يكتب تقارير ..وبمرتب وسأعمل على زيادته لك ..وافق هاشم بإشارة متحفظة برأسه

ثم قال هاشم له وكيف يشكرني ثم يطردني ! !؟

رد خالد دعني أقول لك

قبل سنين كانت هناك انتخابات لمجلس مدير النادي الثقافي في المدينة

وكان هو وأحمد يتنافسون على هذه الكرسي

قبيل الفرز النهائي كتب أحمد مقالاً بعنوان (مدير الجامعة إين مكانه المنطقي)

وبعدها صدرت الاشاعات وخسر مقعده ! وحل مكانه أحمد وهذه هي القصة ..

رد هاشم قد عرفت الآن ثم خرج من الجامعة

كان أبو ناصر وقتها ، حزيناً ، ومهموماً متردداً وهو على شبه يقين بما سيفعله بهذه الورقة التي لا يزال يطويها من التوتر .! ! (ورقة الطلاق)

فإخوان أم ناصر جاءوا إلى بيته وهددوه بسحب (تركة أم ناصر منه ، والتي كانت هي حصة لأختهم بعد وفاة والدهم وطالبوا أيضاً بورقة الطلاق ..أو أن يفعل شيئاً أخر قد طلبوه منه !

دخل هاشم المنزل ، ووجد أبو ناصر ...وناداه وقال له :تعال يا هاشم وأجلس ..هناك ما أود الحديث معك بشأنه ..

هاشم /أهلاً يا عمي ..لما أراك حزيناً

أبو ناصر/هاشم ..هل قصرت في تربيتك يوماً ما ..

هاشم /لا ..لكن..

ابو ناصر /هل قصرت في تربيتك يوماً ما ..

هاشم / لا لكن يا عمي لماذا هذا السؤال .!!

أبو ناصر/هل تعلم ماهي هذه الورقة التي أطويها في يدي !!

هـاشم / أظن أني أعرف ..يا عم

إنها ورقة وداع ما بيني وبين حبيبتي وتدمير ٣٢ سنه من الحب !

أو ...!!!

هاشم /أو ماذا يا عم !

أنا أحبك ي اهاشم ..ولكن !!!

هاشم /..يا عم أنا أحبك وأنت كأبي ، وأحب أم ناصر جداً فهي كأمي ، أنتم كنتم لي عائلة لن أجدها ما حييت ..لكن لتعلم أن أم ناصر لها حق عليك ..فقد سئمت مني ، فحبك لي قد أعماك عن الاهتمام بها وبشؤون منزلك ...صحيح أني لا أملك قلباً أمومياً كقلبها ..وأمي توفت منذ زمن بعيد ..ستكون هذه الليلة الأخيرة لي في منزلكم الذي آواني لمدة طويلة ...أرجوك مزق هذه الورقة فهي تستحق منك الكثير .

أبو ناصر/هل هذا قرارك النهائي .!

هاشم /نعـم في الصباح سأخرج ، ولن أعود أبداً.

عندها صاحت أم ناصر وهي تسترق السمع من خلف الباب والدموع تذرف من عيناها ..ودخلت عليهم ..أرجوك يا ابني هاشم ..اعدل عن قرارك ..أرجوك أنا أتأسف لك جداً ، أعمتني أنانيتي ، نسيت أنك بلا عائلة ، لكن مشاعري المغرورة قد أعمتني ...أرجوك ..يا ابني اجلس معنا ..ولن أطلب الطلاق مره أخرى ..

قام هاشم وقال ..يا أمي ...أرجوك ..حافظي على زوجك ..فالحب هو ما يجعلنا نرمي جميع المشاكل خلف ظهورنا كي نعيش شعور رائعاً وأن تحب شخصاً ويحبك وتبيت ليله مطمئنه يشتعل منها خيالك في ترتيب لقاء مستقبلي قريب..!

قد قررت يا أماه السفر خارجاً ..بعد عدة أشهر ، وسأشد الرحل باحثاً عن ذاتي ..وسأرجع إن أجبرني الحنين ..

خرج هاشم للمكتبة ، وجلست ساره مع زوجها ..في لحظة ندم ..

قالت ساره ..اااه ليته ابني بحق قد أذيته بلساني أمام نساء الحارة ..كي يخرج من منزلنا ..ليتني لم أفعل ..ليته يسامحني ..

قام أبو ناصر غاضباً وصفعها بشدة فوقعت وهي تبكي ، وقال ويحك ! هل تؤذين ابننا الوحيد ..

أتعلمين أننا لم نرزق بأولاد وهذه حكمة الله .ثم رمى ورقة الطلاق عليها ..وقال ..خذي كل أشياءك التي أهانني بها إخوتك ...وأنتي طالق .....!!

صاحت بقوه أأأأأه ثم سقطت مغشياً عليها !! إتصل بالإسعاف ، وأتصل على إخوتها وخرج من المنزل ..!

كان وقتها هاشم يقرأ في تلك المكتبة ، وممسكاً بكتاب (لماذا التضحية !)

كان مستمتعاً ويقرأ عدة سطور منها ..(التضحية هي تلك المغامرة التي نفعلها بداعي الإخلاص لأجل من نحب أو لأجل من لا نحب ..هي رغبة إلهيه نهبُ فيها لأن نضحي لأجل الذين نهتم بهم ..أو يحزننا أمرهم ، أو يبكينا حالهم ..

فعندما نرى موظف بنك يتسلط على ذلك العجوز ، سنتكلم دفاعاً عنه ..ولو كلفنا ذلك الطرد من البنك نفسه !

ولو كنا في عيادة أسنان ..سنفضل تصفح مجلة أزياء ، فقط كي يتقدم كبير السن ولا يشعر بالضجر من الانتظار ..

من الممتع يا سادة أن الإخلاص والتضحية هي الأشياء التي تشعرنا بسعادة ونحن نفعلها ..ولا نفكر حتى بطلب المقابل ..ولا نريد أيضاً ..وهذه مع سائر العبادات كالصدقة ، وكمساعدة المحتاجين ...

عندها ربت مدير المكتبه على كتف هاشم وقال له ..اذهب يا هاشم ..هذا يوم عطله لنا في المكتبة ولم أود أن أغلق الباب في وجهك لكن جعلتك تجلس قليلاً ..

قال له هاشم .شكراً لك لأنك سمحت لي في الجلوس في المكتبة حتى في هذا اليوم .!

ذهب هاشم وهو بالطريق رأى ازدحام سيارات إسعاف وتجمهر رجالات الحارة ، عند منزل أبو ناصر ..تفاجئ هاشم وأسرع راكضاً للمنزل ، وعندما دخل ..رأى أم ناصر مقيده على الكرسي الطبي والمسعفين يطوفون حول الكرسي محاولين أن يضعوه في صندوق السيارة ..

هاشم لا يعلم ما ذا يصنع ..كان فزعاً ، وينادي بأعلى صوته يا عمي ، لكن بلا مجيب ..فضجة الازدحام ونساء الحارة والرجال قد احدثوا فوضى بعدها بدقائق و ..عندما خرج الجميع أغلق المنزل كي يذهب للمشفى ، وعند خروجه صادفه أخو ساره قائلاً له ..قد تسببت في هذا كله ..أنت ابن بالتبني يا هذا ..اخرج من حياتنا جميعاً فنحن نكرهك ..!

عندها صُدم هاشم ، وقرر بأن لا يعود فعلاً لحياتهم . خرج مسرعاً حزيناً ، لا يكاد ينظر إلى من أمامه بالطريق من هذا الكلام الجارح ..ذهب إلى المجهول في حياته ..أحس أنه كان عبئ ثقيل على أبو ناصر وزوجه المصون ..قرر الذهاب بعدها لموسى ..كي يتفق معه على بدء العمل ويبدأ صفحه جديده ..

وهو في الطريق رأى بائع صحف ..أشبه بالفقير يدلل على هذه الأخبار التي لا تجلب للشخص سوى الاكتئاب ..وقد أراد شراء صحيفة كي يكون خلفية عن عمل التقارير والاخبار ..فبلا شك فهو ذاهب لأن يصبح صحفي . ذهب له وقال (السلام عليكم يا عمي) رد البائع وعليكم السلام ..

يا عم أنا أكره الصحف وأنا أعلم بأن الصحيفة لجلب الاخبار والكتب لجلب المعرفة ..

رد البائع ..بدأت بالتفلسف يا هذا ..قد رأيت الكثير مثلك من المتفلسفين الذين لم يخدموا قضايانا بأي شيء ..وسيسألهم الله عما تعلموا وماذا قدموا ..!

هنا هاشم وكأن صاعقه نزلت عليه من السماء ....كيف ولا ، وهذه الكلمة قد صعقته وخر صاعقاً بذهنه من هول الكلمة (ماذا قدموا) ..نعم ماذا قدمت أنا ! !

عندها قال هاشم أعطني صحيفه بسرعه يا عم وكان مستعجلاً وكأنه قد عرف ما يصبوا إليه ..أخذ الصحيفة وذهب لمنزل موسى ..وهو في طريقة بدأ يتصفح الجريدة ..

لكن وقتها لم يكن يبحث عن تقارير صحفية بل يبحث عن الأخبار التي تناقش قضايا المجتمع ..لأنه أدرك أن المثقف أو الاجتماعي عليه أن يكون خدوماً ويقدم حلولاً بدل أن يتفلسف كهاشم مثلاً ..!

تجاهل عمود العقارات وصفحة الوفيات وقلب الصفحة ووجد خبر سياسي بعنوان (ماذا بعد الثورة الإسلامية في إيران !) قلب ناظريه بسرعه لأنه كان يكره السياسة ظناً منه أنه لا بد أن يكون مثل أبيه كي يصنع التغيير إما بمنصب دبلوماسي أو قيادي ..

وأخيراً وجد ما يبحث عنه ..صفحة القضايا الاجتماعية ...

كان هاشم ذكياً جداً ويعلم ما يمر به المجتمع من مشاكل ..لكنه لم يفكر بنقاشها ..

رأى خبراً شده ..في حيز كبير من الصفحة (حرية المرأة والمزايا الرجالية)

عندها قرر أن يقرأه ..لكنه تلفت لم يجد مكان ليقرأ فيه بتمعن ..فجلس على الرصيف

بدأ بقراءة المقال ..(إن حرية المرأة من أهم القضايا المحورية في العالم العربي والإسلامي بشكل خاص ، كيف ولا فالمرأة هي نصف المجتمع ، ويجب علينا كنخبة من المثقفين أن ننصر المرأة على من هدمها باسم الإسلام ، والمرأة قادرة على أن تقود السيارة وأن تخلع حجابها كي يراها المجتمع بأبهى حله ، وأن لا تكون كالغراب تخيف من يراها ! !)..بقلم /أحمد الخالدي ..

هنا قطع هاشم القراءة ..حانقاً وغاضباً على هذا الأبله الذي يتكلم بهذه الطريقة ، رغم أن هاشم صب جام غضبه على شخص نسب نفسه إلى الثقافة وليس بقدر سخافة وخطورة هذا المقال ..ثم أزاح ناظره للصفحة التالية فعامود الاقتصاديات لم يرق له أيضاً ..فظهرت له صفحة التقارير اليومية من حوادث وإحصائيات مملة ، وقبل أن يغلق الصحيفة وجد خبراً لنفس المثقف يتكلم فيه عن (طرد الأطباء الأجانب لأنهم خطر !)

قام من مكانه ووضع الصحيفة على الرصيف وذهب لمنزل موسى ،

طرق الباب ، وخرج له طفل صغير قال له من أنت يا هذا ...قال هاشم بابتسامة ماذا تريد أن تصبح عندما تكبر ..رد الطفل ..سأصبح طبيباً كي أعالج المرضى مثل عمي ..أفاق هاشم مره أخرى وقال في نفسه ..ساعدني هذا الطفل ..نعم هو سيصبح طبيباً ليعالج المرضى ..لكن ماذا بشان الأمراض الاجتماعية من سيعالجها .! هل بالتقارير أم بالنقد ..!

قالت أم الطفل من عند الباب ..يا حسين من الطارق. قال الطفل شخص ما ، خرجت له وقال لها عمت مساء يا خاله ..أريد موسى قالت ..تفضل

دخل هاشم ورحب به موسى وقال قد حدثني عنك خالد ..وأوصاني عليك ..

استرح يا هاشم ..وحدثني كيف فُصلت من الجامعة .!

قال هاشم ..فُصلت ! من قال لك ..!

أخبرني خالد بكل شيء ..وأنك مظلوم وأنا سأساعدك ..لكن عليك أن تساعدني أولاً

قال هاشم ..وكيف أساعدك وبماذا !

صاح موسى القهوة يا أم حسين ..يا هاشم عليك أولاً أن تتبع قوانين الصحيفة فهي تصدر لكل البلاد ..وأنا أثق بك وسأسقط عنك المراقبة الصحفية !

وماهي المراقبة الصحفية يا أبا حسين ..؟

المراقبة هي التدقيق بالنصوص وحذف الألفاظ والحفاظ على التحفظ النصي وإن تطلب ..إعادة النص بأكمله ..باسمك ..

هاشم متردداً ..لكن يا عم ..أليست هي نزع للحقوق الفكرية .!

ضحك موسى قائلاً ..أترى ما كتبه ذلك الصحفي؟؟..فهو يملك كثير من المعجبين والمعجبات بالصحيفة ويضع توقيعه تحت نقاشاته الاجتماعية ..(ولم أجد أحداً أفضل منه في النقد ..هو أحمد المثقف المشهور ..وسمعت حديثاً أن شاباً صغيراً وقحاً تجرأ عليه ! !

هنا انتفض هاشم ..خيفة أن يكون هذا الموسى تربطه علاقه وطيده صحفية مع الكاتب ..

أكمل موسى قائلاً رغم أنه مغرور إلا أنني معجب بقلمه ..فنحن نعيش في بلد أشبه بالمتحجر ..!

هنا دخلت أم حسين وقدمت الشاي وذهبت ..

اشرب الشاي ي هاشم ..وعموماً أنت الان صحفي ..في كتابة التقارير !

قال هاشم ..عماه أرجوك دعني في عامود النقد ..وسأناقش القضايا الاجتماعية .!

ضحك موسى ضحكاً شديداً ..(ويحك !) أتستطيع أن تجاري هذا المثقف ، فهو يملك عامود النقد ..ولا أحد يستطيع أن يجاريه في النقد !

طأطأ رأسه هاشم محطماً لأنه لم يمتلك هذه الفرصة ليحطم غرور ذلك المغرور !

شرب الشاي وأنزل الكأسة

وقعت عينه على موسى ..فقال يا هاشم ..أفعلاً تريد عامود النقد ...فقال نعم يا أبا حسين ..

فقال هو لك ..

نهض هاشم مصافحاً إياه ..وقال له لي طلب عندك ..أريد أن أكتب باسم مجهول. فصحفي مبتدئ مثلي لن يقرأ أحداً له ..

فوافق موسى

عندما هم للخروج مع الباب ..قال لهاشم ..لا تنسى أنت لست تحت قائمة القانون الصحفي فأنا أثق بك ...

ذهب بعدها للمستشفى كي يرى ماذا حل بأم ناصر !

قدم إلى المستشفى ووجد أبو ناصر ..وإخوته ..

لكنه اندهش فعلاً ..فأبو ناصر يبكي كالطفل وممسكاً بيدها...وإخوان ساره يهدئون من روعه

قبل ان يدخل على أبو ناصر وجد الطبيب حمدي (مصري الجنسية) وهو طبيب مشهور في زرع الكلى ومعروف على مستوى المنطقة

قال ...مرحباً دكتور ..أرجوك قل لي ماذا حل بها !

أأنت ابنها !

أنا كأبنها ..

إذن تعال معي لغرفتي

ذهب متوتراً معه

وعندما دخل الغرفة قال اجلس يا فتى !

ما اسمك أولاً

هاشم ، يا دكتور ..أرجوك دعني أطمئن عليها

يقلب بأوراقه الدكتور حمدي بهدوء

قاطعهم طرق الباب ..

الدكتور حمدي /تفضل

أهلاً دكتور حمدي ..أنا نادر ..صحفي مشهور أعمل مع أخي أحمد وأظن أنك تعرف أخي أحمد

أهلاً وسهلاً بك يا نادر ..مرحباً بك ، كيف لي أن أخدمك ..

قل لي إين أجد المـدير .؟

حسناً ..!

اذهب إلى الطابق العلوي وستجده في أول مكتب على يمينك ..

شكراً لك دكتور ..

العفو ..يا نادر

هاشم /أرجوك دكتور قل لي

حسناً يا هاشم ..

سأقول لك ..وأعلم أن الله قد أختار لها هذا ..

تلك المريضة تعاني من الضغط المزمن

تصور هاشم منظر ساره وهي تتجادل مع زوجها وتبسم قليلاً لأنه يعلم أن الضغط بسبب التجادل وهو ليس شيء سيء فالضغط أحياناً يضع لنا حدود كي ننهي الجدال متى ما شعرنا بالتوتر ..

يا دكتور ..أتعاني فقط من الضغط !

لا يا هاشم ..بل تحتاج إلى كلية عاجلة لأن إحدى كليتيها قد أعطبت بالكامل ..

ونحن منذ ثلاث ساعات نبحث عن شخص من نفس فصيلتها ..وللأسف زوجها يبكي بحرقه لأن فصيلته لا تتطابق مع فصيلتها

ماذا ..!!!!

قام مسرعاً وعند إمساكه بقبضة الباب ..قال يا دكتور ..ما هو نوع فصيلتها ..

شكراً لك يا هاشم ابحث عن متبرع وقل له فصيلة دمها +A.

لكن هاشم لم يكن يفكر بأحد ..إلا بنفسه ..

ذهب لقسم الدم وقال أريد أن اعرف فصيلة دمي ..

بعدما سُحبت منه عينه من دمه ..قيل له انتظر دقائق .

ذهب بعدها لغرفة ساره ..

ودخل عليهم ..وقال السلام عليكم ..

هنا هب أحد إخوة ساره ولكمه على وجهه ..فسقط هاشم وصاح ابو ناصر ..

يكفي !!! يكفي !! هذا قد سئمت لماذا تلومونه على كل شيء !

يا هاشم اجلس بجانبي ودعك منهم ..فهم من تسبب بمرض زوجتي فقد أضاعوا ثروتهم وأرادوا أن يقايضونها إما أن تضل معي أو تعطيهم ثروتها !!

هنا أفاق مره أخرى !!! قائلاً لنفسه

ليس الضغط من الجدال إذن .!!

إذن ليس الجدال علي .!!

الجدال على التركه !

ما هذه الاحداث ..!!

هنا دخلت الممرضة قائلة where is hashim

قال هاشم أنا هو ..قالت you blood mutch

لم يفهم عليها لأن لغتها الانكليزية ملتوية ...

قالت مره اخرى your blood much

هنا فهم أنها تقصد أن فصيلة الدم تتطابق فصيلتها !!

تبسم وسحب الورقة منها ..ورأى أنها +A

قال هاشم سأذهب ليومين خارج المدينة فعملي الصحفي يتطلب مني السفر !

خرج هاشم ..إلى القسم العلوي من المشفى وعبأ استمارة التبرع بكلية ..

أصر هاشم على الدكتور المناوب ..بأن لا يخبر أحدا كائناً من كان ..ويكتب باسم فاعل خير ..

وبعد ست ساعات من عمل التحاليل والفحوصات لحالته الصحية ...أدخل العناية ..

أجرت العملية في تمام الساعة الواحدة والنصف ،ولم تنتهي إلا الخامسة فجراً ، والحمد لله تكللت بالنجاح ..

في الصباح الباكر من اليوم الثاني أيقظت المرضة أبو ناصر والذي لم يبقى مع ساره إلا هو ..فإخوانها قد ذهبوا في وقت سابق ...

قام فزعاً ، لكنه كان متعب ..قال في نفسه لا بد أن يكون في هذا المشفى الكبير مطعم ..

وهو يمشي في الردهة ويتلفت يمنه ويسرى ، غرف مرضى ، وأشخاص تتألم ، وهذا مقعد ، وهذا بحادث يصارع الموت و و و ، ..فحمد الله على ما أصابه ..لأنها قد هانت لديه أمام هذه المصائب انتهى به الطريق إلا مصعد ودورة مياه ، قال لا بد أن الطابق العلوي تتواجد فيه على الأقل بوفيه .استخدم المصعد وصعد إلى فوق ..وعندما فتح المصعد ..وجد غرفة استقبال ، وغرفة عناية مركزه ومركز دم ..تعجب ! ! وعلى يمينه غرفة المدير

غريب ألا يوجد مطعم !

نظر إلى شماله في أخر الرواق غرفة كبيرة يدخل إليها الكثير من الأطباء وتخرج المرضات تحمل الأسرة والأطعمة للمرضى .".قد وجدت المطعم أخيراً ! ! قائلاً لنفسه ..

دخل الغرفة فوجد على يمينه بوابه مكتوب عليها (عناية المتبرعين)..

تبسم وقال حسناً سأبحث عمن سيتبرع لزوجتي لربما كان هناك أشخاص من نفس فصيلتها ..

وهو يتلفت ويمشي بين آلات تبرع الدم الكبيرة وآليات غسيل الكلى ..ناداه الدكتور حمدي قائلاً له ..يا عم ما ذا تصنع هنا دع الأطباء يكملون عملهم ..لا يحق لك التواجد هنا .!فنحن متوترون !

ناظره أبو ناصر ..قائلاً ..من يجب عليه أن يكون متوتراً فهو أنا يا دكتور حمدي فزوجتي تعاني من الأمس ولم نجد لها متبرع ، ناهيك على أني أبحث عن مطعم منذ نصف ساعه ولم أجد !

تبسم الدكتور حمدي. ضاحكاً وقال لا لستُ متوتراً أبداً لكن أنت تعرف أننا نعاني من ضغوطات بشأن العمل المتواصل ، حسناً المطعم خارج المشفى أمام البوابة الرئيسية ..

شكره أبو ناصر ..وخرج نازلاً يبحث عن مخرج يوصله للبوابة الرئيسية ، لم يجد المصعد الذي صعد منه ...وذلك لأن أروقة المشفى تتشابه ، فوجد السلالم ..لكن السلالم كانت أشبه بالمهجورة فالجميع يستخدم المصعد إلا عمال النظافة فهم يستخدمون السلالم حفاظاً على نظافة المشفى ..

نزل من الطابق الثاني عن طريق السلالم ..لكن صادفته رائحة نتنة هبت عليه من إين .لا يعلم !

قبل أن يخرج من غرفة السلالم إلى الطابق الأول ..وجد غرفة مكتوب عليها (غرفة المنظفات)

لكنه استغرب !

فكيف غرفة منظفات ورائحة كريهة تصدر من هنا !

حاول الاقتراب وكلما ، اقترب اشتدت الرائحة النتنه ..

قال سأكتشف مصدر الرائحة. فتح الباب بقوه بعدما أزاح أدوات التنظيف من على الباب

وعندما فتح الباب ..خرجت الرائحة الكريهة ، كلها

دخل الغرفة محافظاً على جهازه العصبي من هذا الغاز المميت !

وعندما دفع الباب ، لم يتحرك ، فقد كان خلف الباب شيء يمنعه من ذلك ..

دخل بحشر نفسه ما بين الباب والجدار ونظر بسرعه خاطفه إلى ما وراء الباب

ما هذا !!

شخص !! نائم !

يا هذا ..

يا هذا ..!!

أستيقظ ..!

وعندما دفع الباب بقوه ..سقط الشخص وهو ملطخ بالدماء

ماذا !!! ميت !!

فزع أبو ناصر وخرج من هذه الغرفة لا يعرف ما ذا يصنع ..

فمن شدة الفزع رجع مره أخرى إلى الطابق الثاني ، وهو يحاول البحث عن الطبيب أو أحد حراس الأمن كي يتصل بالشرطة ..تقدم مذعوراً يلتفت ويبحث عن أي هاتف ..

نظر إلى شخص دخل غرفة عناية المتبرعين ..وناداه لكن لم يسمعه ، فلحقه ..خائفاً مما رأى فعندما دخل ..تلفت ووجد الطبيب حمدي أمام أحد المرضى ..المتبرعين ..فتقدم له

حمدي ..يا دكتور حمدي ..النجدة ..

التفت إليه الدكتور حمدي ..ما هذا ..من.. ما بك !!

فعندما وصل إليه ابو ناصر متعباً من شدة الخوف . .!!!

نظر إلى المريض !!

فقال للدكتور ..ما هذا ..!!

كيف جاء هاشم إلى هنا ..!!

ما به !!

من الذي أدخله ..إلى هنا !

الدكتور حمدي مهدئاً ابو ناصر ..

يا عم ..هذا هاشم هو الذي تبرع إلى زوجتك ..وإن شاء الله ستكون عملية زوجتك الليلة وستشفى بإذن الله ..!

أبو ناصر مندهشاً ..ماذا .!! متبرع !!!

قاطعه حمدي ..لماذا أراك مرتعداً ..وكأنك قد رأيت شبحاً .!!

اااه تذكر ابو ناصر لماذا جاء من الأساس ..قال أتصل بالشرطة

حمدي مخاطباً إياه ..لماذا ما لذي حدث !

اتصل بالشرطة بسرعه ...هناك جثة !!

الدكتور حمدي ..جثه !!

ماذا ..وإين ..!

لكن أبو ناصر خرج مسرعاً ولم يهتم لما قاله الدكتور

بعد خمس دقائق وصلت الشرطة والمحققين والأدلة الجنائية ، والطبيب الشرعي ..

قادهم أبو ناصر لمكان الضحية ..وخُلع الباب ..ووجدوا الجثة ..ملطخة بالدماء ..

بعدها أصدر مدير الشرطة ..قرار بتحويط المشفى بالكامل، وجاءت سيارات الشرطة خوفاً من هرب القاتل .. ..وصدر التقرير الطبي الساعة الحادية عشر صباحاً وهذا أبرز ما جاء بالتقرير

الضحية /نادر

شاب في متوسط العمر ...

يعمل كصحفي .

مبتور بطنه في آلة حاده ..

وجد المحققين قلم مليء بالدماء ملقى بجانبه ...إلخ

هذا أهم ما جاء بالتقرير ..

اتصلت الشرطة بعدها على أخوه أحمد ..ولم تخبره بالأمر ..أخبرته أن يأتي بسرعه عاجلة إلى المستشفى ..

في هذا الوقت أبو هاشم يتضور جوعاً ..ويتضور غرابه !

فهو جائع .!

ووجد جثة !

وابنه هاشم تبرع لزوجته !

ولا يعلم ماذا يصنع !

شرب قليلاً من الماء ..وذهب إلى كبينة الاتصال الموجودة في نهاية الرواق بجانب (غرفة المتبرعين)

ابو ناصر متصلاً بإخوة ساره

السلام عليكم ..

عليكم السلام ..

أبو ناصر بدون إي مقدمات ..

تعالوا جميعكم إلى المشفى .!

عندما أغلق الهاتف ..نظر إلى غرفة المتبرعين ..وقال. سأتصل بأبو هاشم وسأخبره بالأمر كله ..

الهاتف ..يرن.. ..يرن ..يرن.

السلام عليكم

أبو هاشم /وعليكم السلام ..أهلاً من معي ..

أنا أبو ناصر ..كيف حالك ..

أهلاً وسهلاً بك ..منذ زمن عنك ..يا رجل. كيف حالكم جميعاً ..ابني هاشم كيف حاله ..يارجل أتصدق ...إني لم أكلمه منذ سنتين ..!

أبو ناصر...هاشم ...هاشم في..

ابو هاشم /إين هو ..تحدث. هل حدث له شيء ! ، هل يحتاج المال لا تنحرج يا أبا ناصر سأرسل له مبلغاً ..

ابو ناصر /هاشم في المشفى ..و

أبو هاشم /ماذا !!! ماذا قلت أعد كلامك !!

أبو ناصر/نعم ..في المشفى !!

أبو هاشم /حسناً سأكون على أقرب رحلة ..وسآتي الليلة

أبو ناصر ..مع السلامة

أغلق الهاتف وذهب إلى هاشم ..

وجلس بجانبه ..ونظر إليه وهو حزين ..

يا هاشم ..ما ذا صنعت ..لم أجد شخص أوفى منك ..

فقد أذوك إخوة زوجتي ..وأنت بادرت بإعطائها كليتك ..!!

إنك لشخص عظيم ..!

استيقظ هاشم ...

أبو ناصر /حمداً لله على سلامتك يا ابني العزيز .

يا هاشم لما صنعت هذا ولما لم تخبرني.!!

هاشم /يا عم. .كيف حال أمي ساره .!

أبو ناصر والدموع تذرف من عينيه ..هي طيبه ..وتسأل عنك ..!

سمع وقتها صراخ ..في نهاية الرواق. أدخلونا ..أدخلونا ..

فهب مسرعاً أبو ناصر ليرى ما ذا هناك .

وعندما وصل ..وجد إخوة سارة يتدافعون كي يدخلوا لكن حراس الأمن منعوهم ..بحسب قضية القتل التي حصلت ...تقدم ابو ناصر وقال ادخلوهم ..هؤلاء شهود !

فقاول ..شهود !! ماذا تقول !!

هل حدث شيء ما لأختنا سارة !!

ولماذا أنت هنا ولست عند زوجتك بالطابق الأرضي.. ولماذا أرشدنا الدكتور حمدي إلى هذا الطابق !! عندما سألنا عنك ..

تعـالوا ..معي

قدموا جميعهم ..إلى هاشم ..

وقال أبو ناصر مخاطباً لهم ..هذا الذي أذيتموه، ..وأردتم طرده من منزلي ..!

هو الذي تبرع لأختكم ...بكليته !!

ردوا باستغراب ..ولماذا !!

تبسم هاشم وهو متعب من أثر المورفين ثم قال ..التضحية ..هو الشيء الذي نستمتع بعمله ..دون طلب أي مقابل...

بعدها بدقائق ، حضر أحمد ..وهو في طريقه اتصل على موسى ..ولماذا اتصل عليه ..لا يعلم ..وما ذا أراد منه ..أيضاً لا يعلم ..! ربما صدمة الخوف جعلته يتصرف بأي تصرف ..ولو كان باتصال لأقرب زملاء العمل له ..

جاء أحمد متوتراً ، يكاد أن يسقط ..ما ذا تريدون مني ...لماذا اتصلتم علي ..

أخذوا الأطباء ، والمرضى يهدئونه ..إلى أن قابل ضابط الشرطة عبدالرؤوف الذي اتصل به

أخذه إلى غرفة المدير في المشفى ..وأخبره بالأمر .

سقـط مغشياً عليه وبعدما رشوا عليه قليلاً من الماء البارد والصفعات الخفيفة استيقظ ، وأخذ يرتعد ويهلوس ..من قتله ..لماذا تم قتله ..ويحكم ..إين كنتم ..لقد قتلتموه أنتم ..سأقاضيكم .و و و وبدأ يتهم الجميع ..

أرسل عبدالرؤوف إلى الدكتور حمدي ..كي يعطيه قليلاً من المهدئات والمسكنات

وضعوه على السرير. وأنزلوه إلى الطابق الأرضي ..في غرفة المرضى العامة ..

بعدها بساعتين ..ذهب ناصر هو وإخوة سارة للدكتور المناوب حمدي ..وطلبوا منه أن يخرجوا هاشم من عناية المتبرعين في الطابق العلوي ..إلى الطابق الأرضي..فوافق..قائلاً (لقد خرج من منطقة الخطر ..هو الآن بخير. وغداً سيخرج ..)

أخرجوه الأطباء إلى الطابق الأرضي

ويالا الصدفة ..!

قد وضعوه بجـانب المثقف أحمـد ..

كان هاشم يتظاهر بالنوم ..رغم أنه كان متعب ولا يستطيع أن يرفع رموشه كي يرى الواقع !

لكن المورفين آنذاك قد ساعد أحمد هو الآخر فهو شبه غائب عن الوعي ..ويضحك بشكل هستيري ..ويبكي مرات ..

بعد عدة دقائق ..خرج أبو ناصر من عند هاشم وقال ..سأذهب لتناول الفطور ومعي إخوتها (يقصد إخوة سارة)

كان هاشم لا يعلم ما لذي حصل ..لأحمد ..ولماذا هو في جانبه ..ولماذا قد لمح زي الشرطة وهو في سريرة إلى الطابق الأرضي !!

أحمد قد أزعج الحاضرين ، فهو يتحدث بشكل عال ، ويبكي ويضحك ..

لكن أحمد لم يكتفي بذلك ، بل بدأ يتكلم عن الإدارة في المستشفى والفساد الإداري وسوء النظافة ..(لأنه ناقد لاذع كما يعرف الجميع) !

هاشم بيأس ضغط زر نداء المرضات ..ولكنها فترة غداء المرضات !

وكان حمدي هو المناوب ...فقدم إلى هاشم ..

وشم هاشم منه عطراً جميلا ذو تركيز قوي !

من ملابس حمدي

وسأله هاشم ..قائلاً إين المرضات ..ولماذا أتيت بدلاً عنهن !

قال حمدي ..هذه فترة غداء المرضات

وكان هاشم لا يعرف الوقت ..فقال مخاطباً ذاته .ولماذا عمي ذهب للفطور !!

ولماذا هذه فترة غداء ..!

قال هاشم ولماذا هذا بجانبي ..ولماذا أزعجنا جميعاً .ما لذي حدث له !

قال حمدي للأسف يا هاشم أخوه قتل اليوم في المشفى ...والشرطة تحيط المبنى بالكامل لاستكمال التحقيقات !!

..!

قال هاشم ..جريمة قتل !!

نعم يا هاشم ..

ولكن من الذي قتله

لا نعلم والشرطة تجري تحقيقاتها

من هو أخوه !؟

نادر يا هاشم ..

نادر ..! ذلك الذي رأيناه بالأمس ..!

نعم هو يا هـاشم ..! وسأذهب الآن وإذا أردت شيئاً فنادي الممرضات بالزر .!

حسناً يا حمدي ..شكراً لك ..

كان هـاشم في صغره ، يقرأ الروايات البوليسية ..وقد قرأ مئات الأعمال منها المسرحيات والروايات البوليسية ..لأجاثا كريستي وكونان آرثر دويل ..

كان هاشم جداً ذكي ..وهو يتميز بالذكاء اللغوي ..

فقال محدثاً لنفسه ..سأعمل قانون يكشف لي من القاتل ..

وهو شبيه بمعادلة فلسفية قديمة ...

القانون يقول

الأكثر (القاتل لا يزال طليقاً)

الكثير (القاتل لا يستطيع الهرب)

الأوسط (القاتل له هدف)

المتوسط (القاتل قد يكون بيننا)

الصغير (القاتل قد رأيته)

الأصغر (القاتل بيننا)

ما هدف الجاني ..من القتل ..وما هدف الضحية الذي تسبب في قتله ..!

ومن هو المستفيد

بعدها بنصف ساعه من التفكير والتأمل ، ضغط على الزر وقدمت المرضة ..وطلب منها أن تأتي بنسخه من التقرير الجنائي ..من الضابط عبدالرؤوف ..وقال لها قولي له المثقف احمد يريده ..

نظر هاشم إلى احمد ..وقال له ..أحمد ..هل تعرفني جيداً ..!!

ماذا ..! هذا أنت ..دعني أستعيد عافيتي وسأقتلك ..!

هاشم /ألا تود قتل من قتل أخاك !!

أحمد صمت قليلاً ...وقال ..سأقتلك معه ..!

قال هاشم هل لو أخبرتك من القاتل ..ستسامحني عما فعلت ..!

أحمد/ما فعلته قديماً رغم أنه قوي وقاسي بالنسبة لي إلا أنني سأسامحك شريطة أن تكتشف قاتل أخي

جاءت المرضة ، ومعها التقرير ...وقال لها بعد عشرين دقيقة ..نادي الضابط عبدالرؤوف والدكتور حمدي وعمي أبو ناصر وإخوته ..!

بدأ يقلب ، التقرير حرف حرف ، كلمة كلمه ، جملة جملة ، وصفحة صفحة ..

وعندما حضر الجميع ..

قال لهم هاشم ..يا سادة ، قد اكتشفت المجرم ..

قال عبدالرؤوف ..يا ابني نقدر حماسك ، لكننا قد اكتشفنا القاتل!

قال هاشم ..اكتشفتموه ..

نعم وهو قاتل متسلسل ..

قال هاشم من هو !

قال هو أحد المقلدين لجاك السفاح ..لكنه عربي

فضحك هاشم بتعب ...! أتسخر مني يا ضابط !؟

رد عبدالرؤوف :وهل أنا في موقف يسمح لي بالسخرية !!.

هاشم:قد قرأت رواية شارع بيكر .. عشرات المرات

وجاك السفاح يقتل النساء ، لأنه يكره أمه ويحبها وأظافره طويله وأصابعه نحيله .!

والمقتول في هذا المشفى هو شاب !

فإذا كان المقلد مقلداً للنمط فسيقتل النساء فقط ،

وإن كان مقلداً للشكل فسيكون القاتل نحيل الأصابع وطويل الأظافر

وإن لم يكن هذا ولا هذا ..فلن يكون مقلداً لجاك السفاح !!

وقال عبدالرؤوف :ألا تعتقد أن القاتل يتبع نمط جاك السفاح كي يجدد لنا المخاوف ويضع أمامنا غمامه كي نرى أنها مجرد أسطورة ..والقاتل حر طليق .ومخيف

قال هاشم ..جاك السفاح يقتل لأنه يتألم

وقاتل الضحية (يقصد نادر)

يقتل لأنه خائف ..!

تعجب الجميع ...وقال عبدالرؤوف ..وكيف ! أخبرنا أكثر..

قال هـاشم ..

سأقول من هو القاتل ..

حـمدي ..نعم أنه أنت القاتل ..

من أنا !!؟؟ يا هاشم !!!

صاح أبو ناصر ..ويحك حمدي كلنا نعرفه فهو طبيب معروف جداً !!

وأيضاً إخوة سارة ..وصفوا هاشم بالجنون !

قال عبدالرؤوف أكمل ...يا هاشم أنا أسمعك ..

حسناً ، القاتل قتل خوفاً ..!

ثانياً ..دخل علينا بالأمس نادر ..وقابلته أنا والدكتور ثم ذهب لغرفة المدير ..ولم نره ..إلى أن سمعنا بالجريمة ..

قرأت بالتقرير أن هناك قلماً (ملطخ بالدماء ، ورائحة كريهة)

قاطعة الضابط ..نعم ..لكن بماذا تفسر الرائحة الكريهة .!

دقائق ..ياعبدالرؤوف ستعرف كل شيء ..دعني اكمل ..

حسناً أكمل ..

وقبل عدة إيام قرأت مقالاً (لأحمد) بعنوان (طرد الأطباء الأجانب لأنهم خطر)

عبدالرؤوف محدثاً أحمد ..أصحيح ما يقول الفتى !

نعم صحيح ..قد كتبت هذا المقال في الأسبوع السابق ..

حسناً سأكمل ، المقال ..يؤلم حمدي .لأنه رغم أنه وافد عربي إلا أن كلمة الاجانب تطلق على جميع من لا يملك نفس جواز البلد المقيم فيه ..!

والهدف من المقال هو طردهم بعيداً !

أي سُتدمر حياة حمدي ..بإقصائه من الوظيفة ..

والقلم الموجود. تلميح مبطن بأن القضية تتعلق بغاية القلم .! وليس القلم نفسه ..

والرائحة الكريهة جداً عند الاقتراب من الجثة ..وكلنا قد نشتم قليلاً من الرائحة المتبقية على ملابس العم أبو ناصر..!

ولو اقتربتم من الطبيب المشرح فبالتأكيد ستجدون رائحة كريهة أيضاً ..إلا أن الطبيب المشرح بعد كل تشريح يغتسل ويضع العطر ..

لكن كلنا نعرف أن حمدي ليس مشرحاً ..

قال حمدي ..نعم أنا لستُ مشرحاً ..إذن أنا لستُ القاتل ..!

ضحك هاشم ..قليلاً ثم قال..

ولماذا تضع العطر ...المركز ..رغم أن الأطباء ممنوع عليهم وضع العطورات التي تثير أحاسيس صدور المرضى في المشفى .!!!

ارتبك حمدي ..!!!

وقال عبدالرؤوف صحيح ..عندما قابلتك كنت تضع العطر ..!لماذا

وقال أبو ناصر ..وعندما أنا قابلته بالأمس لم يكن يضع عطراً ..!! لماذا !

هاشم قائلاً لهم ..لأن الجريمة وقعت فجر هذا اليوم ..بعدما انتهى من عمليتي ..!

بعدها انطلق حمدي وقفز على سرير أحمد وفي يده مقصاً للعمليات ..لكن عبدالرؤوف رغم أنه ضابط قوي إلا أنه كان بطلاً في الكونغفو ..فضربه من جنبه وأسقطه ..وتم القبض عليه ..

لكن العجيب بالأمر ، أن حمدي رفض أن يتم اعتقاله إلا بعد أن يجري عملية أم ناصر والتي ستجرى الليلة ..تحدث الجميع مع الضابط عبدالرؤوف وأخبروه بأنه الأحسن إذ لم يكن الأفضل ..وافق بالنهاية بعد إصرار حتى من هاشم نفسه .!

في الساعة الثامنة مساء ، تم إدخال سارة لغرفة العلميات ، والجميع يضع يده على قلبه !

عبدالرؤوف ورجال الأمن ، هاشم وإخوة سارة وأبو ناصر ، حتى أحمد ، أخذته العاطفة فجلس معهم ينتظر ..

بعد مضي ثلاث ساعات ، من التوتر ..والقلق ، خرج حمدي يمتزج مزاجه مع مشاعره ، كي تترسم أجمل اللحظات على ملامحه بنجاح العملية ..رغم حزنه الداخلي ..لأن هذه أخر عملية سيجريها ، وسيقضي بقية إيامه (أو ما تبقى منها كطبيب ماهر) في السجن !..

في الساعة الثانية عشر ونصف ليلاً ..أصبح المشفى وكأنه مهجوراً ..المكان هادئ ..لا يوجد رجال شرطة ..السكينة تجتاح أروقة المشفى ولا يقطع هذه السكينة ..إلا صوت الهاتف الاستعلامي في قسم الاستقبال من بعيد ..رن ..رن ..رن ..وصحفي فضولي ، وشرطة راجلة (شرطيين) .

وفي غرفة هاشم ينام الجميع بجانبه أبو ناصر والإخوة حتى تستيقظ سارة

في الساعة السادسة فجراً ، استدعى مكتب الاستقبال أبو ناصر وأيقظه من منامه ليتلقى مكالمة هاتفية ..

السلام عليكم ...أهلاً..

أهلاً وسهلاً بك ..أنا وصلت الرياض ..ومتوجه لكم ..

لا سنخرج الساعة الثامنة جميعاً

أصحيح ما تقول ..هل يلزم علي القدوم !!

لا يا أبو هـاشم ..سنخرج هذا الصباح ..

مع السلامة ..سأنتظركم .

ذهب بعدها لإحضار الفطور وإيقاظ الجميع ..وبعدما أيقظ هاشم، وكان هاشم بصحة جيدة ..تناولوا الإفطار وهم يتناولون الإفطار دخل عليهم الطبيب وقال (لقد استيقظت سارة)

ذهبوا جميعاً لرؤيتها فرحين عجلين .. وتـحمدوا لها على السلامه

قالت ..كيف زرعوا الأطباء لي كلية !

قال أبو ناصر كيف يزرعون ! يا حبيبتي ، فهم يقصدون الزراعة بنقل الكلى ..وزراعتها داخل الجسم المنقول إليه !! وليس زراعة الكلية من لا شيء ..

ضحكوا إخوتها وهاشم .

قالت ..إذن من نقل لي .!

صمـتوا ..بتحفظ ..وتصنعوا ابتسامات ..قائلين لا أحد ههه !

قالت من !! أجيبوني !!

أنا ..يا أمي ..من تبرعت لك !!

ماذا !! أنت !

يا حبيبي لما تفعل هذا الشيء !

تعال ضمني ، وأغرس رأسك في صدري ..أريد أن تسـامحني عن كل ما فعلته !

يا أمي ..قد سامحتك ..

هنا في هذا الجو الحميمي ، نرى البريق واللمعان الذي يصيب عيون الإخوة من هذا المنظر الأسري ..

خرج هاشم وسارة والجميع وذهبوا إلى المنزل ليستريحوا ، وعندما همت الأسرة كي ترتب المنزل ، ذهب هاشم للصالة وبدأ بقراءة كتابة المفضل (النقد بالبرهان)

وماهي إلا دقائق من وصولهم حتى دق باب الجرس ..إنه ...أبو هـاشم ..نعم أبو هـاشم !

أهلاً يا أبو هاشم ..حمد لله على سلامتك .

أهلاً بك ..أعتذر يا أبو ناصر فقد تأخرت رحلتي ..

لا عليك ..نحن في المنزل

إين هـاشم ..

هناك ادخل ستجده بالصالة .

يـا هاشم ..قد حضر أبوك !

هـاشم ..ابني ..يا حبيبي

أبي ..أهلاً بعودتك ..اشتقت لك ..

أشتعل الحنين وقتها عند أبو ناصر ..لأنه (عقيم) ويعتقد أن هذه المرة الأخيرة التي سيرى فيها هاشم .!

بعد نصف ساعة من الكلام والاشتياق والحنين الذي يجرف الأطراف الثلاثة كلهم ..

وبعد إخبار أبو هاشم ..بأن ابنه قد تبرع بكليته ..قال بإيجابية ..لا أعلم ما ذا أقول لك ..إلا أن هذا العمل ..عمل بطولي ..ديني ..ولو كنت بمكانك يا ابني لما فعلته ..

بعدما طال الحديث عن هاشم ..بدأ الحديث عن أبو هاشم

ابو ناصر عندما عبأ برادة الشاي مره أخرى ، طلب من أبو هاشم أن يقص عليه من قصصه ومواقفه في الصين منها الطريفة ، والغريبة .

أبو هاشم تحدث عن الغريب منها ..بقوله (كنت في مؤتمر سياسي في مدينة بكين ، وهو مؤتمر أشبه بالرسمي فلم تتواجد كاميرات ولا صحافة ، فبعض السياسيين الذين أعرفهم وهم أصدقاء لي ..جلبوا أبناءهم بناء على طلبهم ، كي يتعلمو الامور الأساسية في السياسة .

كنا نتحدث عن أهم الهفوات السياسية ، أو والأشياء التي تنهض بالدولة السياسية ..

تبادلنا أطراف الحديث الدبلوماسي ...فقام ابن صديقي يانغ هوانغ وهو شاب في العشرينات ، ويحمل جهازه المحمول ويلبس النظارات ، التي اشتهر بها عباقرتهم ..على حد تعبير ثقافتهم !

فقال :الدولة يجب عليها أن تضع خطوط حمراء على الهفوات ، كي تتجنبها ..لأن الهفوات ستكلف الكثير لدولة بعكس ما تؤثر به الأمور الإيجابية ..

فالتضخم السكاني ..ليس سبباً في سقوط الدولة اقتصادياً والتي سيحلقها بعض المرات سقوط سياسي ، ولا القوة الاقتصادية يلحقها قوة سياسية ..!

فنحن كشعب صيني مليار وأربع مئة مليون نسمة ..لكن الاقتصاد عندنا ينافس الاقتصاد الأقوى في العالم ..

فسألته .ما السبب يا ترى !

إن العمل الجماعي ..هو السبب!

قلت الجماعي. وكيف !

نحن في بلادنا نملك الكثير من المصانع منها التقنية ، والصناعية ، والحرفية ..

لكننا بالأساس نملك الوعي الثقافي للعمل الجماعي والتعاون ..

وكل مقاطعة تنتج ميزانيات هائلة ..لذى لو قلت لخمسة أشخاص ..اذهبوا إلى مكان محدد وأجلبوا لي ما تستطيعون حمله من أكياس الرمل ..لجلبوا عشرة أكياس !

لأن كل شخص أعتمد على الثاني بالعدد الإضافي

لكن لو قلت لكل شخص أن يذهب منفرداً ويحضر ما يستطيع حمله ..لجلب كل شخص منهم كيسان أو أكثر..!

هنا في هذه اللحظة صُدمت ..وكأنه يقصد الخليج العربي والنفط الذي نعتمد عليه كمصدر رئيسي !

شدني وعيه الكبير للسياسة الاقتصادية على الأقل في هذا المجال ..فقبل أن أقول له أكمل .

تبسم أبوه تصنعاً وقال اجلس يا ابني هذه أسرار البقاء ..

قلت أكمل من فضلك .فأنا مهتم بما تقوله .

فأكمل قائلاً : أما بشأن الهفوات السياسة ..فهي بسيطة جداً ..

فلو كانت القضية (اغتيال سياسي مقيم في دولة ما) أول ما تفعله هو أن تصدر بياناً بأن الأمن استنفر ، وبعض يافطات للمعارضين على ما حدث بشكل مؤقت ومراقب ..وبعد عدة إيام تنسبها لجماعات خارجة عن القانون ..بهذا تكون قد خرجت من منطقة العقاب السياسي من العالم ..(وهذا الكلام يا سيدي ينفع عندما تكون أصل الدولة فاسدة) كما البيرو وفنزويلا

ثم قال ناقداً مصر الشقيقة ..أتعجب من مصر فهم قلة قلائل أمام هذا العدد الهائل من الصينيين ومع ذلك دولة متوسطة الدخل ، واقتصادها أشبه بالمهزوز ..وأخاف يوماً ما ، أن يصدر قرار من حكومتنا بتقليص أعداد المواليد ..فستكون طامة اقتصادية بحته ...

وأنتهى كلامه ..!

أبو ناصر :ما أغرب هذا الفتى ، شديد الملاحظة ، وفعلاً كلامه صحيح ، لربما لو كان في بلادنا لركلوه نقداً ساخطاً بأشنع الصفات .!!

فعلاً ..عجيب !

قال هاشم ..يا أبي

أريد أن أزور عدة بلاد بعدما أتعافى كلياً ..فقد شدني حديث هذا الفتى ..

أرجوك يا أبي ..

قال أبو ناصر ..يا ابني السفر متعب جداً

قال أبوه ..أنت تعرفني يا هاشم ..لا أرفض لك طلباً ..اذهب وأكتشف ذاتك أولاً ثم العالم ثانياً ..

قال إخوة سارة ..أحسنت يا هاشم ..وستكون لك مغامرة جداً جميلة ..وربما ستكون محفوفة بالمخاطر فأنتبه !

انتهى اللقاء ، وذهب هاشم للنوم ..وقبل أن ينام كالعادة ..يقرأ من كتاب (النقد بالبرهان)

كان قد قرأ الكتاب مرات عده ، لكنه كلما حرك بإصبعه الإبهام وكأنه يعد نقوداً ، كان تقع عيناه على جمل وكأنه يقرأها لأول مره .

فتح صفحة ١٩٦

وبدأ يقرأ

((الفوضى العقلوأخلاقية هي التحرر الرغبوي في الانسان ، فجميع البشر يفضلون أن يقضوا معظم أوقاتهم في جزيرة ما ، وعلى رمال بيضاء ..فيها من اللحم العاري ما يجعلك تتبلد نظرياً تجاه الجميع ، وكأساً دهاقا ، تعطيك فسحة عقليه تسبح بها ،فلا تجد من هو العاقل بهم ، ولا المسئول أخلاقياً .. فتنقد الرب أولاً بأدب ، ثم تسخط على الطبيعة ثانياً ، وتسلخ القيم والعادات ..منددا بفلسفة الذريعة أخراً ..بذريعة الحرية ربما ..! ، فأولها الجنس المتكرر ، ثم يأتي الجنس الممزوج بكأس من براندي كونياك ..ثم تأتي الحشيشة تخديراً للمزاج مع البراندي مع التبلد إدمانياً ، فلا تشعر بأنك منتشي ..والسبب هو إدمانك للإدمان وأيضاً بسبب نشوتك التي تراجعت بجسدك ، فهي لم تتراجع إلا بجسدك لأنك أكثرت منها ولو جربها شخص اخر لانتشى وسقط مغشياً عليه لأول وهله وهكذا مع الجميع ..ثم تحبو حول الهروين ثم الكوكائين ..ثم لا تجد نشوة أبداً ثم تكثر من هذه الأشياء التي لم تجد ما هو أحسن منها بالنشوة !..إلا أن يترحم عليك القسيس ، ويغلق الضابط تقريرك الجنائي بـ (جرعة زائدة) ..فهكذا هم البشر ..

لم يتمتعوا بالهدوء النفسي والاستقرار الذي يتلذذ بالشيء كان حراماً أو حلالاً ، على فترات متقطعة ..فما أجشع الإنسان ..خُلق من تراب ..وذهب بعقله يتلمس أسرار السماء ..فأتبعه شهاب رصدا ...ففي نهاية الأمر يلحد ..ويبدأ باللوم على الغموض الذي لم يكتشفه في عقله ..ونسي ايمانه وأن جوهر الدين هو الإيمان بالغيب والتسليم لرب رؤوف غفور ، لربما أزال عنك كل ما تبحث عنه وعن الغموض بسجدة صادقة ..أو بصدقة تتصدق ، فتجد الحكمة الإلهية تتذوقها ، وتعرفها في ذاتك ..قبل عقلك ..اللا موجود.....

أغلق هاشم هذا الكاتب الغامض ، والذي يثير ويداعب الأفكار ويكشف الحقائق ، بجفون ساقطة ..ونام هادئاً ..

في صباح الغد الباكر ..قرر أن يسافر وبدأ بالذهاب للمكتبة ، ثم أسرع على القسم الجغرافي والتاريخي للدول ..

فتش الكتب ، ووقعت عينه على هذه الدول التي قرر أن يزورها (إيران ، فرنسا ، كينيا ، اليابان ، الصين ، أفغانستان ..!

رجع إلى البيت مستمعتاً بما دونه من دول ..

وبدأ بالجلوس ووضع الخريطة أمام الجميع قائلاً ..هذه هي الدول التي أود زيارتها

فقال له أبوه ..ولماذا هذه الدول ..

قال فإيران دولة سياسية طائفية أود البحث والتعرف عنها ..أكثر فأكثر ، فأنا أصدق نصف ما أرى ، وأصدق جميع ما أسمع لوهلة ثم اكذبه كله ..

وفرنسا ، أود البحث والتعرف عنها وعن ثورتها التي غيرت العالم ، وفولتير الذي قرأت عنه بعض الروايات التي ألهمتني منها (رواية التفاؤل ، والقدر وغيرها) وكثير من الفلاسفة ..

أما كينيا فأود أن أتمعن في حال الفقراء ومد يد العون لهم ، والتأمل بحكمة للّه الربانية ولماذا فقط أفريقيا هي من القارات الأفقر ..

واليابان أود التعرف على طبيعة التكنولوجيا

والصين أود دراسة بعض من الأدب الصيني والتعرف على شخصية (كونفشيوس)

قال أبو ناصر ..فماذا تريد في أفغانستان ..

قال هاشم ..لا أعلم .أود زيارتها فحسب ..

بعد أسبوع من التجهيزات والأمور المالية ..حزم حقائبه ..وفي صباح يوما ما ، ذهب إلى المطار بعد توديع أسرته ..

دخل إلى المطار وذهب للكاشير وأستخرج البورد ينق ، وجلس في صالة المغادرين ينتظر لإعلان الرحلة القادمة على إيران ..

بعد رحلة خمس ساعات ، تخللها بعض من الرهاب الجوي ، والمطبات الهوائية ..ومقتطفات من كتابه المفضل ..

وصل هاشم وحيداً في مطار مهر آباد في طهران ، بعدما نزل من المطار ، وجد أن المطار شبه عادي ، تكثر فيه صور الخميني في كل مكان ،وبعدما انتهى من الجوازات ورأى أن البعض مقطب الحاجبين فيه ، لأنه (عربي) !!!

خرج من المطار يبحث عمن يقله ، إلى فندق ..ووجد رجل كبير في السن يجلس في التاكسي ، وبعد دقائق من المفاصلة على السعر ، ركب هاشم معه ..

الطريق كان قصيراً جداً ، فأستغل هاشم المسافة بالتعرف على أهم المعالم السياحية ..فقال للرجل ..ماهي أهم المعالم ، ما هي الطقوس التي قرأت في عدة كتب عندكم ، ما هي عاداتكم وثقافتكم ..قاطعه الرجل ضاحكاً ..تحدث قليلاً ..سأخبرك ..

لا يوجد لدينا غير مدينة قُم ..فهي مدينة الحسين صلوات ربي عليه ..وهذا هو المعلم الوحيد والطقس الوحيد الذي نعرفه ..منذ أن تمسك الخميني زمام الأمور في بلادنا ..!

قال هاشم ..إين هي قم ..أهي بعيدة .

قال قرابة العشر ساعات ..وإذا أردت زيارتها ، فسأعطيك رقم صديق لي ، سيذهب غداً إلى قم .الآن إسترح في فندقك ..

هاشم قائلاً ..حسناً اعطني رقمه ، وشكراً لك يا عماه ...هاك المبلغ

حفظك الله يا إبني ..مع السلامة وأسم صديقي هو مرجان

بعدما دخل الفندق ..وجد أيضاً صور للخميني خلف الاستقبال ..فشعر بالقلق ..!

سجل دخوله وكان متعباً ، وذهب للنوم ولم يستيقظ إلا فجراً..!

إتصل باستقبال الفندق ، وطلب منهم أن يحضروا الطعام إلى غرفته ، وأغلق الهاتف وذهب ليستحم ، وخرج ليجد الطعام أمامه ، وبدأ بالأكل بشراهة ، ثم تذكر مرجان ! فأتصل به وقال له مرجان ، ستذهب معنا بمبلغ ٥٠٠ ريال إيراني ..فوافق هاشم ..وقال له ستجدنا في محطة النجف خلف فندق (الكبير)

وقال له سنذهب بعد عشر دقائق ، لذى أسرع ..

أسرع هاشم كما قال له ، ورتب ملابسة ، وأخذ مستلزماته القيمة ، وأغلق الغرفة ، لكنه نسي إين يقع فندق الكبير ! ! وعندما أراد أن يفتح الغرفة ليتصل على الاستقبال أخرج المفتاح وسقطت منه ورقة الفندق الذي يسكنه ..لكن المصادفة أسرع له من المفتاح فالبطاقة تحمل نفس اسم الفندق الذي تحدث عنه الرجل ..

سجل خروجه من الفندق وذهب لمحطة النجف ...

كان هاشم يبحث عن مرجان ..بين المحطة الكبيرة التي تقع خلف الفندق ..وهي محطة يذهب منها الركاب من طهران إلى قم ..

وينادي مرجان ..يا مرجان ..

فلم يجد أحداً. ونظر إلى الخلف ..عدة أشخاص يتحدثون (أخيرا قد ظهر لنا مرجان مع تأخيره المعتاد هيا بنا)

ولحقهم ، ووجد أن مرجان شاب بالثلاثينيات من عمره يملك باص متوسط ..يعينه سد على رمق عيشه من التوصيل ...

ركب هاشم ودفع المبلغ ، وهو يمشي إلى مؤخرة الباص ..يمينه وعن شمالة عمائم كبيرة ، وكل شخص فيهم يملك سبحة طويلة ..ويسمع همسهم خائفاً (صلواتو ربي عليك ياحسين ..) وبعضهم يقول (بله حسين) وبعدما جلس ..بحث في الكتاب القاموسي الذي يملكه ووجد أن بله حسين تعني (يا حسين)

لسوء حظ هاشم ..هذا هو يوم عاشوراء ...!

في هذه الرحلة ، كان هاشم يتأمل المناظر الخارجية ، ، ويرى كثيراً من الأدعية التي غطت السيارة والديكور العجيب لها من تزيين وصور وقرابين !

رأى المروج الخضراء ، والأبنية الشاهقة مروراً بالريف الإيراني الذي يذهل الجميع

ثم أخذ يقلب بالتاريخ المختصر لإيران ، وبدأ يقرأ عن المفكر علي شريعتي والذي قتل في شقته .نتيجة إشاعتين ..

الإشاعة الأولى: أنه أثنى على الصحابة الكرام وخصوصاً عمر رضي الله عنه وأرضاه ،

والأخرى تقول :على يد مخابرات الشاه والذي كان هو ملهماً للثورة الإسلامية على نظام الشاه ..

بعد تقليب للصفحات ، والغفوة البسيطة

و بعد مرور العشر ساعات ..كان هاشم متعباً بحق ، فلم يصحوا من غفوته إلا على صوت مرجان

نادى مرجان (وصلنا لمدينة الحسين) !

نزل هاشم ، وأخذ تكسي وذهب لأقرب فندق ..ثم أستراح لمدة ساعتين ..

وخرج يتنزه ، ويدخل البقالات والمحال الشعبية .

لكن المحال بدأت بالإقفال ، ووجد أن الناس تذهب لجهة واحدة ..وهو لا يعلم بينهم ! !

ثم سأل أحد الأشخاص والذي كان يرتب محله لإغلاقه ..

إلى إين هم ذاهبون ..! !

ألا تدري ..! ! هذا هو اليوم الذي نبكي فيه على الحسين ..!

كان هاشم ساذجاً .لدرجة أنه كان يظن أنهم يجتمعون في مكان واحد ويبكون !

ثم قال ..في نفسه سأذهب ..

وذهب معهم ، وركب الباصات ، وهو يقلد ما يتلفظون به من ألفاظ ترحميه على الحسين ، لأنه كان خائفاً ...

بعد عشرين دقيقة قضاها هاشم في الباص ، من نواح وعويل لرجال ونساء ..وصلوا المكان المحدد ..

لم يتعجب فحسب ...بل كان خائفاً يرتعد ..كيف هذا !

ولماذا أرى الدماء ..تنزف من أجسادهم ..!

دفعه أحد الأشخاص وهو في تلك اللحظة التعجبية .وقال

يا هذا ، انزف كثيراً من الدماء ، كي تبرأ نفسك من قتلة الحسين ..! وهذا أقل شيء تقدمه له ..

كان هاشم منطقياً جداً وقال

من الذي قتله ..!!

قال يزيد لعنة الله عليه ، وأخذ يسب ويلعن في الصحابة الكرام ..وكان يردد مواويل أشبه بالألحان الكهنوتية !!

قال له ..وإين يزيد الآن ؟

قال: مات إلى جهنم وبئس المهاد .

رد هاشم وهل تعرف ما هو حكم الانتحار أو القتل ..!

نعم فالمنتحر بالنار ، والقاتل عليه لعنة الله وغضب عليه الله وأعد له عذاباً عظيماً

ثم قال هاشم ولماذا نرضي الحسين وهو ميت لا يعرف عنا أي شيء ، ولا نرضي رب الحسين الذي لا ينام ولا يضل ولا يموت ..!؟؟

وهل دمائنا رخيصة جداً ، كي ننزفها لمجرد (ذكرى قديمة)

رسولنا الكريم ، قد عذبوه أهل الطائف ، وقريش ..

لماذا لا نبكي بدمائنا على رسولنا .!

هل لأننا لا نحبه أو نخاف من أن نبتدع شيئاً بالدين ...يهوي بنا لجهنم وبئس المهاد التي وضعت بها يزيد !!؟؟

صاح الآخر وبحق الحسين إني بريء منك يا عربي ..!؟؟

قال هاشم إذن هي قوميات ..يا حسيني !! ؟؟

قال له هذه الكلمة كي يستفزه ، ثم صاح ذاك المعمم ..أقتلوه يسبُّ الحسين ..

فكان قلبه يرجف لا يعلم ماذا سيفعل أو كيف يبرر ..لهم ..

فهرب وأطلق قدماه للريح ، خائفاً مرتعباً يظن أنها نهايته ،

بعدما أحس ، أنه ابتعد عن ناظري (من يطاردونه) عندها اختفى بالازدحام بين النساء والأطفال ..وبدأ يبحث عن تاكسي ، وبعد البحث المطول ، وجد أفغاني يملك باص ..فأتفق معه على سعر باهظ جداً ..ولم يكن يمانع هاشم لأنه يريد الهرب ..لطهران ثم للسفر خارجاً ..

كان الباص مزدحم كما هي عادة الباصات ، ومنهم من يريد النزول إلى قم ، ومنهم الرجوع إلى طهران ..

اندس في مؤخرة الباص ..ولكن الأفغاني ، كان مجبراً أن يحوم حول المسجد ويشق طريقة بين الازدحام معلناً انه يود الخروج بزامره كي يجد مخرجاً ..

فكان هاشم مغمظاً عينيه وداساً رأسه ، كالنعامة ولا تعمل حواسه من الخوف سوى السمع !

فكان يسمع أهازيج ، (يـاحسين ..يا حسين ياحسين)

ويسمع نواحاً وعويلاً ، ودماء وقع صوتها كالمطر تضرب الباص كضربهم للسلاسل الحادة بأجسادهم ..

بعد خمسة عشر دقيقة ..أخرج رأسه قليلاً وبدأ ينظر بعيونه ..عندما ابتعدوا قليلاً

فكان يرى ، أشخاص ملطخين بالدماء ، لا ترى سوى السلاسل تلوح بينهم وكأنها تلعنهم على أفعالهم ، وكأنها مأموره (طوعاً أو كرهاً) من رب عزيز مقتدر..!

ولربما كان عذاباً لهم في الدنيا !!

كان يفكر في نفسه هذا الهاشم ..ويقول

هل فعلاً هذا الدين الصحيح ؟

هل فعلاً أن نضحي من أجل الدين أم من أجل أشخاص الدين ؟

ما ذا عن رب الدين .هل يرضى بهذه المهزلة الإنسانية ..؟!

دماء بكل مكان ، وأشخاص تنزف بكثرة ، وسيارات إسعاف ..!؟

ماذا يريدون من الحسين ..؟

وهل يريد الحسين منهم شيئاً ؟

ولماذا هم وحدهم من وكلوا أنفسهم من سلالة الحسين .؟

الحسين عربي وهم فرس ؟

غريب ..جداً غريب ...؟!

هذه أخر الأفكار التي فكر بها هاشم ..ثم نام ..نوماً شديداً لم يوقظه إلا عسكري تفتيش ..يا ولد ..انهض أرني هويتك ..

أراه الهوية ..وقال له هذه محطتك ..طهران انزل ..!

ثم نزل ...وماهي إلا دقائق ، ثم استقل أحد التاكسي المتواجدة في عند منطقة الباصات ..

السلام عليكم ..

عليكم السلام ..

أريد المطار ..

حسناً ، المبلغ هو ..

لا يهم المبلغ سأعطيك ما تريد المطار أرجوك ..!

بالطريق كان هاشم ، صامتاً لا يفعل شيئاً سوى النظر من النافذة والتفكير .!؟

قال له السائق ...قد رأيتك تنزل من إحدى الباصات القادمة من قم المقدسة .!

ما رأيك ..

أرجوك لا أود الحديث ..!

حسناً يا فتى ..لكن قل لي ..لما أراك سارح بتفكيرك ..

سكت هاشم ..لخمس دقائق ثم قال..

أرجوك سأسأل سؤال واحد ..وأحلف لي بربك أنك لن تفعل سوء بي !

ضحك السائق ..قائلاً ..بالحسين ..أيرضيك هذا ! !

قال هاشم ..

الآن إذا كنتم تقدسون الحسين رضي الله عنه ..

لحظه يافتى قل علية الصلاة والسلام !

عليه الصلاة والسلام..

حسناً إذا كنت تقدسونه كل هذا التقديس ..

أما كان من الأولى أن تقدسون سلالته !

نحن نقدس سلالته ..جداً .

إذن ملك الأردن (الملك حسين بن طلال) أما كان لكم تقديسه لأنه هاشمي والحسين رضي الله أقصد عليه الصلاة والسلام هاشمي .!؟

ضحك السائق ههه لم نفكر بذلك أبداً !

نزل هاشم ، إلى المطار ..كان يود الذهاب إلى الرياض !

لكنه بعدما وصل المطار ورأى الكثير من الجنسيات إرتاح ..وقال سأذهب حسب الجدول ..فرنسا ..نعم إلى فرنسا ..

بعدها بثلاث ساعات ، نداء الطائرة الفرنسية إلى بلادها ..!

ركب هاشم الطائرة ..وشعر بالارتياح الشديد ..ففي فرنسا الأمان ، والرقي والديموقراطية المنشودة ..وهذا ما كان يقرأ ..

بعدما شرب وأكل ..بدأ يقلب كتابه (النقد الهادف)

وكانت الصفحة على (الديموقراطية)

الديموقراطية ..فعلاً اسم جميل، فهي كلمة تحوي (العدل –المساواة –الحرية بأنواعها –الوظائف –التطور–اللا عنصرية – اللا طبقية و و و ولربما كانت تحوي ..وإيتاء ذي القربى ! !

لكن الجانب المظلم ..شيء ..والتفنن في إلقاء الخطابات الانتخابية شيء اخر

فلو كان هناك مجموعة مجانين ..وأنت الشخص العاقل بهم ..ستكون مجبراً رغماً عن أنفك أن يكون لهما القرار ، فالديموقراطية تعني الحق والقانون مع الأغلبية ..!؟

لكن ماذا لو كانت الأغلبية (فاشيه برداء التسعينات الجديد ..؟)

ماذا لو كانت مجموعة عصابات مافيا لبست رداء الانتخاب ..!؟

وهل الانتخاب الطبيعي يقوم ايضاً على انتخاب العقول !

فهل ستين مليون مجنون ..يستطيع الانتخاب الطبيعي جعل منهم اثنان عاقلان !؟ وكم تحتاج هذه المدة ..!؟

أغلق هاشم الكتاب ..باحثاً عن الترفيه ، في الأدوات التي امامه ..من شاشة عرض وأفلام ومسرحيات ....

قضى الثلاث ساعات الأخيرة ما بين شاشة العرض ..وشاشة العرض ..!؟

لأنه كان يشعر بأنها المرة الأولى التي يرى فيها تلفازا ؟ وهي لأول مره هذه هذه الثلاث ساعات !؟

نزل الى المطار بعد رحلة دامت التسع ساعات ..

كان كل شيء راقي ..ليس متطوراً فالتطور ربما يكون مادي رأسمالي بحت ولا ذوق..!

لكنه رأى أن المطار من أرقى المطارات بالعالم ...

بعدما انتهى من نقاط التفتيش ..أخذه الباص المخصص للقادمين إلى باريس ..وأنزله هو وكثير من الأشخاص إلى محطة المترو ..

قص التذكر من شباك التذاكر وركب المترو إلى وسط باريس

نزل بعدها ووجد الكثير من سائقي التاكسي ..يبتسمون بمن أمامهم ..مرحبين بهم في ديارهم ..

كانت المباني جميلة جداً ولها تصميم ومعمار فني وتاريخي بنفس الوقت ..هندسة أجيال ...تكون قائمة لأجيال ..! على عكس بعض التراث الذي لا يجده هاشم إلا في الخلاء خارج المدينة !؟

ذهب إلى فندق يتكون من طابقين وثلاث نجمات !

لكن الغريب أن الثلاث نجمات لا تختلف عن الخمس نجمات .!

فالفنادق راقيه جداً ، والمطاعم كذلك ، ولن تجد فرق في الرفاهية الإنسانية ..هناك ..؟

قضى ليلته في الفندق بعد أمس كان شاقاً ، من ورطات طائفية وخوف ورعب دموي !!.؟

كان مرتاحاً جداً ..وهو في سريره يتحدث ..

ولماذا لا نرى الحسين هنا !!؟

أو لماذا لا يترحمون وينزفون دمائهم بغية رضى فولتير والمفكرين الذين حرروهم من هذا الاستعباد الديني !!؟؟

"سحق العار الذي يلحق بالأشخاص" هذه الجملة التي كان يرددها وهو على سريره هي عنوان لإحدى خطابات فولتير .!؟؟

نعم سحق العار ..الذي جعلنا ننزف الدماء على ذكرى من منطلق قومي عاطفي سياسي ..وليس من منطلق ديني .!

وأي دين يطالبك بهذه الأشياء !!

أي (ضرب نفسك) .!

فحتى فولتير لم أجد له إلا قبراً يقال أنه قريب من هذه المنطقة .!

نـام باطمئنان ..بعد الكثير من هذه التمته التي أودت به إلى النوم .!

استيقظ صباحاً ..ممتلئاً بالقوة والنشاط ، ثم نزل للإفطار ..وكان الإفطار رائعاً جداً

فهو لم يجد دجاجاً مع أرز .!!

بل وجد الذرة الطازجة مع بيضتين ، وخبز مملح ، وقليلاً من الخضروات الطبيعية !

بعد هذا الفطور الشهي ، بدأ باستكشاف المنطقة ..وذهب لأهم المعالم (برج إيفل) وعندما اقترب وجد أنه شاهق جداً ..وإلتف إلتفاته تاريخية منه ، وتذكر أن هتلر كان في هذا البرج الشاهق عندما احتل فرنسا ..يوما ما ..!! قائلاً ..آه من هذا التاريخ ..!!

وتمشى قليلاً ، ومر المكتبة الوطنية ، والمتحف أيضاً ، وقوس النصر في شارع الشانزليزيه ..

كان مستمعاً جداً في وقته ومطمئناً جداً ، لأنه يشعر بأنه لا أحد سيؤذيه أبداً ..!

وهو يتذوق البوظة في أحد زوايا شارع الشانزليزيه جلس على كرسي في إحدى المقاهي القريبة ..وكان يتساءل منطقياً .

لماذا الله لا يعذب هذه الدول الكافرة !!؟ مع أنها لا تطبق دين الله من صلاة وعبادات !

هل فعلاً الله يهتم أكثر للعدل والمساواة والأمن والاطمئنان والمدنية السلمية أكثر من الدين !؟

ولماذا في تلك الدول العربية الإسلامية ..نجد الدماء والقتل ، والفتن !!

ماداً بشفته السفلية بتعجب .!!!

بعد قضاء أجمل أسبوع في فرنسا ، قرر أن يعكس الرحلة إلى بلد الطبقة الكادحة ..نعم قرر حسب جدولة الزمني والمكاني أن يذهب لكينيا ..!

استقل التكسي في صباح يوم باكر ، وذهب إلى المترو ، ومن المترو إلى باص المطار ..

ومن ثم إلى المطار ..قبل أن يركب الطائرة بساعة قرر أن يتحدث مع أهله ..

وأتصل على أبوه ..

أهلاً وسهلاً أبي ..أنا هاشم ..ابنك

أهلاً وسهلاً بك ..لماذا لم تتصل يا ولدي ..امتزت مشاعر الشوق مع الخوف عليك ..!

أعتذر لك يا أبي ..فلقد كنت مشغول ..وقد رأيت العجب العجاب في دولتين ! ! وأظن أني سأرى الكثير مع باقي الدول !

ما ذا رأيت أخبرني أنا متشوق وأنا وعمك أبو ناصر ..!

أبي. سأركب الطائرة لكنني سأرسل لصديقي موسى مقالاً يتضمن عن رحلتي لهذه الدول ..

حسناً ، يا هاشم إلى اللقاء ..!

بعدها إتصل هاشم على موسى. كي يرتب الوسيلة الوحيدة لإرسال المقال وإضافته بالعدد القادم ..

السلام عليكم كيفك يا أبو حسين ..!

أهلاً ..من معي !

أنا هاشم ..أخبارك ..!

أتسأل عن أخباري بعدما فعلت كل هذا ! !

لما ماذا فعلت ! !

مقالك الأول والأخير الناقد عن المثقفين بشكل خاص ، جعلني أفصلك وأتكبد عناء الاحراج مع الجميع !

يا عم أريد كتابة مقال ..

أعتذر لك يا هاشم ..ابحث عن صحيفة أخرى تحوي نقدك الساخط ! !

مع السلامة يا هاشم !

مع السلا ..طوط ..طوط

بعدما أغُلقت السماعة في وجهه ، رأى أن الجميع يحزم أمتعته للنهوض والركوب في الطائرة ..

فعل ما فعلوا ، وحزم حقائبه ، وتوجه للطائرة ..وركبها وجلس على المقعد ..

وما هي إلا نصف ساعة حتى أعلن كابتن الطائرة (حسان) الإقلاع بعد دقائق ، ويجب على الجميع ربط الأحزمة ..لرحلة تمتد لخمس ساعات ..من باريس إلى نيروبي

كان لدى حسان لهجة أشبه بالسودانية ..عندما عرف بنفسه على الركاب !

حلقت الطائرة في كبد السماء ، وأضاءت لمبات المقاعد ، تخبر الجميع بفك الأحزمة ..

هاشم بعدما طلب الشاي الأخضر ..بدأ يكتب مدوناً عما حصلت له من احداث ، في الدول السابقة ..وهو سيفعل مع الدول المتبقية أيضاً..! كي لا ينسى الأحداث بالتفصيل ..

كتب في أول الصفحة ..

رغم قصر المسافة بين طهران والرياض إلا أن هناك اختلاف شاسع وكبير ، اختلاف يكاد يطغى على الاختلاف الطفيف ما بين الرياض وباريس ..

كيف ولا فالاختلاف لم يكن ثقافي بحت ، بل قومي وتاريخي وعاداتي ، وأهمها طائفي ..

خمس ساعات ..فقط تفصلنا عن الحرب الدموية الطائفية ..

خمس ساعات ما بين هذه المسافات ..أشخاص تترضى عن عمر ، وأطراف أخرى تسبه .

اختلاف شبه عقدي بين الخمس ساعات !

أيضاً اختلاف اقتصادي. ولكن كي أكون منصفاً مع نفسي أولاً ومع القراء ثانياً

رأيت الناس الطيبة ، والناس المسلمة المسلمة لله والمبتعدة عن الأمور الطائفية ..

فمرجان والأفغاني ..حدثوني بالطريق أنهم لا يرون إي فرق ما بين عمر وعلي ..ومن باب المنطق فعمر أفضل من علي ..من ناحية (العبادات والعمل الذي ترجمه على الواقع)

ولكن من باب أخر فعلي أقرب إلى الرسول صلوات ربي عليه ، وهو في منزلة هارون من موسى !

قال لي مرجان ..الرسول صل الله عليه وسلم ..رأى قصر عمر بالجنة ..!

وبعض الأئمة هنا ..يقولون عمر بالنار ..!

كشخص مسلم ..هل أصدق الرسول أم أصدق الأئمة ..!

كما تعلم ، أن الإيمان أن تصدق بكل ما قاله الرسول ..وكيف لا تصدقه وهو وحي يوحى أي كلام الله جل وعلاه ..!

فتصديقي بأن عمر شخص طيب ، وعادل ومؤمن ، وله الجنة ..هو تصديقي بما قاله الله ، لكن بشكل غير مباشر ..أي عن طريق الرسول !!

فالله يقول قد بنيت له بيت بالجنة ..والبعض يقول عمر في النار ..!

حتى في القرون المظلمة ..القسيس لا يرد كلامه !

فما بالك بكلام رب البشر ...تنزه عن التشبيه البشري الفطري ..!؟

ها هي كلامته ..التي ارتبطت بصورة ذهنية لمدينة طهران !!

أما فرنسا ...وكي أكون منصفاً كما فعلت مع إيران !

رغم إختلاف المذاهب ، والأجناس ..إلا أنهم يعيشون سلمياً ..

فجرسون المطعم ..من أصل لا تيني

ومدير فندق المطعم هو أسباني

وحارس المكتبة الوطنية هو جزائري ..

والمضيفات في الطائرة الفرنسية من أصل هولندي وبلجيكي ..

رغم ذلك ..إلا أني قرات الكثير عن الثورة الفرنسية وما أنتجته من ديموقراطية نراها ..

فثورتهم كانت عن الطغيان الديني الكهنوتي وتبعها ثورات متتالية لإزاحة الاحتلال النازي .!

لكن ..الديموقراطية بمفهومها العام ، يستسيغه أي شخص ...ويتقبله الصغير قبل الكبير .!

لكن المشكلة أن رؤوس الديموقراطية ..هم مجرد محافظين ليبروا علمانية

ففي مقالاتهم الكثير من النقد الحقدي على الحجاب ..ومن العتاب اللطيف الذي يداهن الحكومة بفتح بارات ومراقص ومصانع وأدوية مشبوهة تحت غطاء (حرية العمل)..

فدائماً تأكد ..أن الطبقة الملكية تجد الفساد فيها مستشري بوضوح في رؤوس الحكومه !

لأنها حكومة طبقية ..وكيف أكون فاسداً وأنا فقير .! وهل يعاتبني البعض لو فكرت بأن أحتال ، أو أرتشي منددا بفلسفة الذرائع ..!!؟

بل الحكومة هي مصدر الفساد ..لأنها تملك الثروة كافة ..وترمي الفتات ، على الكلاب التي تحرسها ، من ضباط شرطة ، ورؤوس إعلام ، وصحافة وكتاب ..وغيرها من المؤسسات التي تخدم الحكومة ..!

أما في الديموقراطية ..فهنا يجب عليك أن تكون حذقاً واعياً ..لترى إين يقع الفساد .

فالفساد ليس بالمشاريع ..بل على العكس ستجد المشاريع من أفضل ما تكون من هندسة وتصميم وإتقان بشري ..!

بل الفساد ستجده بالقتل ، والظلم ، وأكل حقوق الناس بذريعة الدستور ..!

ها هي أمريكا تملك أكبر نسبة ..مخدرات وقتل وقضايا جنائية ما الله بها عليم ..

لدرجة أنها تزرع الجواسيس ، في الطرق ، والصحافة ، والنوادي الليلية ، والمتنزهات ..وكثير من الأماكن ..!

الديموقراطية ستجلب لك حرية نعم ..حرية الغرائز ..القتل ، والمخدرات والزنا ، والتبلد المادي الذي يصيبك بالانتحار ، فصخب الماديات ، والإعلانات التجارية وكل شركة تلهث للبحث عن المال ..يصيبك بالاكتئاب البطيء ، فتجد كثيراً منهم يذهب إلى براري تكساس كي يرتاح من هذا الصخب ، بمسمى (كاو بوي) ومنهم من يسافر إلى كل مكان ..حتى إلا بلادنا !

فكثير من الأجانب ....رغم كل ما يملكون من هذه الأماكن الجميلة والمعالم الأثرية في بلادهم ..يأتون إلى صحرائنا ..ويمتطون الخيل ، ويأكلون الرز مع البدو !! خصوصاً في البتراء ومصر ومنهم من يعيش في الشارقة ..بحثاً عن الهواء النقي والصحراء التي تزيل ما في الصدور والعقول من ماديات وتعب دنيوي !!؟

فالديموقراطية كما أفهم أنا ..هي الدينية النظرية (إسلام الأعراب) ومن طقوس دينية ، وأحكام أشبه بالإسلامية في الميراث وغيرها ..

وحرية العبث والفوضى ، والحصول على المال بأي طريق ..حتى لو كان عن طريق الأفلام الإباحية ..!

هذه الديموقراطية التي ينددون بها ..فهم مكتئبين ، ولكل عائلة طبيب نفسي ..

وسأنهي هذا الجزء بقصيدة ..كتبتها في نفسي وأنا في باريس .

رغم الرقي ..رغم الترف

رغم الغنى والكل عايش في صدد

إرهاق نفسي والجفاف الروحي

إنسان آلي والمشاعر ميته

همه رغم أني لستُ بشاعر إلا أن هذه الابيات تتراقص حيرة في عقلي ومشاعري كي أخرجها ..ولم أخرجها إلا هنا ..!

بعد الانغماس في الكتابة عن هذه الدول ، أغلق كتيبه ، وطلب من المضيفة أن تجلب له مخدة ..ثم مد قدماه كي يستريح ، لينام ..

ولم يستيقظ إلا على نداء الطائرة من الكابتن حسان ..معلنا للجميع أن الطائرة ستهبط في عشرة دقائق ..لذى يجب ربط الأحزمة .وبعدها بثواني ، أضاءت إشارة الحزام ..

بعد هذه العشر دقائق ، هبطت الطائرة بسلام في مطار نيروبي ..

نزل من الطائرة وإذا بالمطار أشبه (بأحواش غنم متناثرة) فالمطار شبه عادي أو أقل من عادي ..فلا يوجد خدمات ، لكنه يعرف أن البلد فقير جداً ، وفيه أمراض ..كثيرة

لذى كان ينصدم على فترات ! ..

أخذوهم بباص صغير جداً ، على دفعات ، وكانت دفعة هاشم هي الأولى ..

كان الطريق وعراً ، فهو ليس محدد ، وبعض أجزاءه ترابي ، والحيوانات يراها من بعيد وسيارات البيئة تطارد هذه الحيوانات كي تبعدها عن المطار وعن الطريق

منها القرود ، والنمور ، والزرافات الطويلة ، وأنواع كثيرة من الحيوانات الزاحفة ..

كان هاشم يعرف أن كينيا تشتهر بالأدغال ، لذى بعد مكوثه في الفندق المكون من غرف متناثرة يحرسها أشخاص معهم رماح ، وتناوله للإفطار الذي كاد أن يصيبه بالغثيان ..أو أصابه ..ذهب للخارج لكي يتنزه لانتظار الباص الذي سيحمل الجميع في رحلة أدغال ..رأى الكابتن حسان ..في غرفته يرتب ملابسه ، فنظر له الكابتن وقال أهلاً بك أدخل ..من أنت ! وهل كنت في رحلتي ..! متأكد أنك كنت معي !

نعم كنت في رحلتك ، وأنا هاشم لكن كيف عرفت أني في رحلتي ..!

هذا الفندق هو الأقرب للمطار ، وهو أول نزل للقادمين إلى نيروبي ، فبعد الاستراحة منهم من يذهب إلى الأدغال ، ومنهم من يذهب إلى العاصمة ..!

قال هاشم أنا سأذهب إلى الأدغال ..وأنت يا حسان إلى إين !.

قال إلى الأدغال ، مره أخرى أود بعدها أن أزور قبيلتي ..قبيلة (نرفانا) !

وما ذا تعني نرفانا ..!؟

هو مصطلح يا هاشم في الديانة البوذية ويعني الخلاص من الألم ..وهذا ما تفعله قبيلتي التخلص من الألم بالبحث عن الطريق الموثوقة للعيش بدون ألم ..

كيف ذلك ..!.؟

حسناً عندما ننتهى من الأدغال ، ستذهب معي إليهم ..

حسناً ..يا حسان

لكن لماذا لهجتك سودانية ..!؟

أمي كينية ، وأبوي سوداني ..وأنا مولود في بلجيكا ، لأنهم كانوا مقيمين .!

كانوا ..!؟ لماذا وإين هم الآن ..!؟

قد توفاهم الله ..في مرض انتشر قديماً في كينيا ولسوء حظهم ، كانوا بزيارة إلى نيروبي.

وعندما رجعوا إلى بلجيكا نشروا المرض معهم ، ومن ذلك الوقت فالحكومة البلجيكية أصدرت قرار بمنع الأفارقه من القدوم إلى البلاد إلا بتقرير طبي يفيد بصحة الشخص.!

...رحمهم الله ..اعتذر ...لك .

هه لا عليك يا هاشم ..هيا لنذهب هذا الباص قد اتى ..

كان الباص عجيباً جداً ، فهو محمي بطبقات من حديد ، وقائد المركبة كان يحمل سلاح ومساعده يحمل رمح ..كي يبعدوا الحيوانات عن الباص ..

كان الباص يحوي عدداً من الجنسيات المتنوعة وهاشم وحسان ..

ذهبوا جميعهم لمسافة ساعة ونصف شمال نيروبي ، وبعدما تعدوا نقطة التفتيش ، التي تشير بأن من يتعدى هذا الخط فهو في الأدغال الخطرة ...

كان السائق يمشي مسرعاً ..فقال هاشم ..لماذا يا حسان صديقنا مسرع (يقصد قائد الباص)

قال حسان : دائماً يكون هكذا ، فأنظر خلفك فالنمور تلحق بنا ..

ثـم نظر هـاشم ، وأصابه شعور بالمتعة والخوف القليل ،

فالنمر سريع ، والباص أسرع ، وهنا متعة التسارع بين الطرفين وتنتهي بتعب النمر

وأما الباص فكان وقوده ممتلئاً فلا يتعب !! أو لن يتعب !

عندما دخلوا الغابة وجدوا الكثير من المخيمات والتي يقطنها الكثير من السواح لقضاء أيام معدودة بين المخاطر ..

كـان هـاشم متشوقاً كي يرى الفراشات ، والزهور ، والأشجار العالية ..والخضرة ..

لكنه مع الأسف لم يجد سوى الجفاف النباتي وأشجار طويلة وصبار مؤلم ..!

بعدما نزلوا وأنصبوا خيمتهم كان حسان ، يحاول إشعال النار كي يطبخ الغداء ..

فقال هاشم ..ولماذا لم تجلب قداحة !؟

قال حسان ويحك ، سيتم سجني ، فالقداحة ممنوعه ..

ولماذا يا حسان هي نفس النار من قداحه أو من احتكاك الأحجار ..

والله لا أعلم يا هاشم ..وهذا القانون ..!

بعدما أشعلوا النار ، وذهب هاشم لينزل أغراضه ويخرج كاميرة التصوير

صاح أحد الخواجات (!!!! Help) وكررها أكثر

صاح حسان ...أفعى انتبهوا!!

لم يكن يعرف ما يفعل هاشم ..أفعى ..في هذا المكان !!

هب الجميع حوله وذهب حسان ليرجم الأفعى بصخرة !؟

كان الخواجة يرتعد خوفاً ويظن أنها نهايته ويردد (جيسوس جيسوس)

بعدما أعطوه الإسعافات الأولية ..أتصل قائد المركبة على الدوريات القريبة ..قائلاً لهم ..

نريد منكم القدوم لحمله للمشفى ، فهو لن يموت ..!

قال هاشم ولماذا لا يموت !

قال كثير من هذه الحالات أصادفها أسبوعياً ..ومثل هذه الأفاعي (وهو ممسكاً بالأفعى وهي مسلوخة من جلدها) لا تضر فسمها يصيبك بالحمى فقط .!؟

ذهب هاشم بعدما وضعوا المريض في الخيمة وقال له

لن يصيبك أي شيء فأنت ستعيش والجميع أكدوا ذلك ،

لكن يا تُرى من هو الذي جعل الأفعى التي سمها محدود أن تهاجمك من رجلك ..!

قال ..جيسوس إني مدين لك ..وسأذهب لأقرب كنيسة في نيروبي لأتلوا صلواتي ..!؟

قال هاشم مره أخرى ..وحسين أخر ..!؟؟؟

قال هاشم ..أخبرني عن جيسوس كي أتبعه ..

قال جيسوس هو من مات كي يكفر عنا خطايانا ..

فنعل ما نريد ولن نحاسب ما دمنا نؤمن بأنا جيسوس هو الذي يتكفل بتكفير خطايانا !؟

قال هاشم ..عجيب جداً ..

هل هو ميت !؟

نعم قلت لك يا هذا !

إذن ..أنت لا تعبده صحيح !

أعبده بالفعل ، فهو ثلاثة في شخص واحد ..جيسوس والرب ..والروح المقدسة وهو شخص واحد .!

قال هاشم ..أرجوك اسحب كلامك فمنطيقاً أنت مجنون وفيزيائياً أنت تخرف .!؟

فلا أحد يريد الإيمان بالمسيحية أن يقول

أنا أعبد ثلاثة أشخاص ..لكنه بنفس الوقت شخص واحد ..!؟

وأنا سأفعل ما أريد من خطايا ما دمت أؤمن بهذا المثلث الذي لا تصدقه عقول أمنت بعقولها .!؟

هل تستطيع إقناعه .!؟

وهل أنت مسلم يا هذا !

نعم ..وهل تصدق أن جيسوس ذكر في كتابنا أكثر من محمد نبينا بخمسمئة ضعف .!!

لكن ربنا هو واحد ..فسأحدثك منطقياً ..

لو كانت لديك شركة تديرها ..وأنت مسئول عنها

لكنك مدير في الصباح ..وهناك مدير أخر في المساء. بنفس شركتك ..

هل تستطيع أن تعمل وتنفذ فأنت تقول قول للموظفين ، ومدير المساء يقول شيء أخر للموظفين ..وبهذا تكون الشركة متخبطة وستعلن إفلاسها العقدي عما قريب ..!؟

فمنهم من يعبد مدير الصباح ، ومنهم من يعبد مدير المساء. والحقيقة أنهم أصبحوا ملاحدة علمانية يريدون أن يرتبوا أمور شركتهم بنفسهم ..فالمدراء متخبطون ..!؟ ويرتدون رداء الدين مجاملة للمدراء !!؟ كابتسامة التصنع في حياتنا الواقعية وربما أخطئت التقدير .

فقال هاشم بنهاية الأمر..يا صديقي ..أن هذا الكلام الذي قلته لك يعرفه أصغر طفل من المسلمين ..ويحاول أن يخبئونه قساوستك ..

فحاول أن تقنعني بمنطقك الملتوي وتخريفك الفيزيائي وإين سنجد الاطمئنان الإيمانية ..وسأؤمن بما تقوله ..

قال بعدها الأمريكي ..أشهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله ..

ولا تظن أني آمنت بعد كلامك ..بل قرأت الكثير عن الإسلام لكن كلامك كان منطقياً رياضياً ..

لكن ماذا سأقول عن عيسى لو كنت مسلماً !

ضحك هاشم مطمئناً أن الرجل آمن بالله وأصبح مسلماً فقال ..

هو عبدالله ، ورسوله وكلنا نؤمن به وبمعجزاته ..وتذكر أن أمه مريم بنت عمران ..قد كانت تلبس الحجاب ..ونساءنا تلبس الحجاب ..وليس كما ترى في مسيحيتك السابقة !

فالحجاب عندكم منوط بالسكن في الدير ..

بل نحن حجابنا في كل مكان ..وهذا ما فعلته مريم ..بكل مكان .

بعدها دخل حسان وقال قد وصلت الدورية ..!

فقال المسلم الجديد ..لا أود علاج مادام أني مؤمن برب العلاج ..

فقام وكأن لم يكن به شيئاً وقضى رحلة الأدغال بكل متعه ، بعدما تناولوا طعام الغداء ..

وبعد توديع هاشم وحسان للفريق السياحي ذهبوا إلى قومهم ، والذين يسكنون في منطقة قريبه من الأدغال تسمى منطقة "أزدجر "

بعد المسافة التي قضوها بالأحاديث المسلية ، دخلوا على قبيلتهم ..

ورحب بهم كبير القبيلة ، وأكرمهم ، وأحسن إليهم هو وقبيله ..وطلب منهم أن يذهبوا للنوم ، فهم وصلوا في نهاية العصر ..

في منتصف الليل أيقظتهم الطبول والاهازيج ..

خرج هاشم مستغرباً ، ولكن حسان كان يعلم عادات قبليته ..

فرأى هاشم منظراً لن ينساه بحياته ..

يحومون حول النار ويرفعون جلود الحيوانات برماحهم ..ويرددون "أوما اوما بيقا بيقا تان تان نوقو نوقو بيقا "

هذه الأهازيج التي لن ينساها هاشم .!!

قدم إليهم هو وصديقه ، وتناولوا طعام العشاء ، ورأى هاشم أن النساء يتم ضربهن وجر شعورهن والإساءة لهن على العلن !!! ، وكل امرأة تحمل طفلها على ظهرها كأنها جمل تحمل سناماً على ظهرها فتعجب هاشم جداً !!! إي زمان يعيشون فيه وأي قبيلة متخلفة هذه .!!!

ثم بدأ هاشم يتحدث معهم والمترجم هو حسان ..!

لماذا أنتم هكذا تحومون حول النار وترددون هذه الاهازيج وما معناها !؟

كان كبيرهم يتكلم بلغة غير مفهومه أشبه بالرموز والطلاسم ..وكان يترجم حسان قائلاً

هذه الطقوس نفعلها دائماً كل شهر ..عندما تنزل الإله علينا لنكرمها بقرابين وهي جلود الحيوانات ، واما الاهازيج ..فهي (آلهتي آلهتي شهر شهر نحتاجها كل شهر)..

قال هاشم ..من هي هذه الآلهة ؟

قال حسان يقول لك أن هذه آلهة الطعام ..؟

وهاشم محدثاً نفسه ..(جيسوس بشكل أخر) .!!

ثم قال إذن هناك أكثر من آلهة !؟

قال حسان ، هم يؤمنون بها .

قال هاشم وهل يعلمون بأنك مسلم !

قال حسان منفعلاً ! أصمت ..أصمت ..لو علموا ذلك لقتلوني ..!

قال هاشم ولماذا !!؟

قال حسان ..ياهاشم في اخر مره كان معي صديق لي مسيحي ..وكان يتحدث لغة قومي بطلاقة لأنه كان رحالة يتكرر على هذه المنطقة ، للتقرب من الكهان ، وشراء بعض الأدوات الغريبة والقرابين والقلادات التي تحمي من الخطر من الاسواق الشعبية والباعة المتجولون

فعندما علموا أنه مسيحي قتلوه ، وهزئني هذا الكبير قائلاً لا تجلب لنا أي شخص يؤمن بديانة غير ديانتنا .

قال هاشم ..أرجوك ترجم ما سأقوله وأرجو أن تكون صادقاً ..

ماذا تريد أن تقول !!؟؟

لا عليك فقط ترجم ..

حسناً وأعلم أني سأكون في مشكلة ما ..

لا عليك فقط ترجم ..

قام هاشم وبدأ يتحدث قائلاً (قبيلة أزدجر الكريمة ، إني رأيتكم أشخاص لطفاء ، تحبون الخير وأكرمتموني عندما جئت لكم ..وكبيركم شخص لطيف جداً ، يبتسم دائماً كما أخبرني صديقي حسان ، وكما رأيت عند قدومي ..

فسأخبركم وأعلم بأنكم لن تؤذون شخص قد قدم إليكم طالباً الإيمان !

قال حسان ..ماذا تريد قوله ..

قال هاشم فقط ترجم ..!

عندما ترجم حسان هذا الكلام بدأت الحمية لديهم تظهر للدخيل وبعضهم أشتد غرسه لرمحه في التراب منددين بأنهم سيحمون كل من يدخل دينهم ..

أكمل هاشم ..يا سادة تعلمون أن هناك اسمه دين الإسلام ..وأنا لم أعرفه فقط رأيت بعض الأشخاص المسلمين ..وأنتم أراكم تضربون نسائكم بلا سبب !!

وأن هناك نساء في العالم الخارجي ..لهن الحق والاحترام ، ولهن جميع الحقوق وأولها عدم الضرب ..!

بل على العكس ، يخدمون قبائلهم ويكرمون أزواجهم ..

ولماذا أراكم هكذا .!

بعدما انتهى حسان من الترجمة ، أحس هاشم بالخوف ..كان القوم يرفعون رماحهم وكبير القبيلة قد قطب بحاجبية وأحتشدت القبيلة عليهم !!

أكمل هاشم بخوف أكمل يا حسان ..

يا نساء أثق بكم ، هناك دين يحمي الجميع ..دين الأخلاق ، دين الرحمة والتسامح ،

دين الاسلام الذي يرفع من قدر المرأة ..رجالكم مخطئون ..!

بعد ذلك انقضوا على حسان وهاشم .ثم أطلقوا أرجلهم للريح وهم ينظرون خلفهم ..منددين (غانورا غانورا) أي أقتلوهم أقتلوهم ..

أبتعد حسان وهاشم واختفوا في الظلام الدامس واندسوا خلف شجرة ..

لكن العجب قد توقفوا رجال القبيلة من ملاحقتهم .!

ما ذا يرى هاشم وحسان ..!!

ما هذا ..!!

بدأت النساء يزغرتن منددات بالنصر وبدأن يضربن أزواجهن بأقرب الأدوات منها الحصى والقرابين والرماح ، وأزواجهم خائفين يتجاهلون هذا الضرب بالعتاب العاطفي .

ما هذا قد أنقلب السحر على الساحر ..!!؟؟

قال حسان لا طريق لنا للعودة فالفوضى عمت هذه القبيلة ، تعال سنكمل إلى قريه قريبه تصل إليها الباصات ثم بعدها نذهب إلى نيروبي

أكملا طريقهما وبهذا الظلام الدامس ، كان حسان يحدث هاشم عما لديه من قدرة على الإقناع .

كيف يا هاشم !؟

كيف ماذا .؟

كيف فعلتها وانا سنوات اخاف أن أخبر قومي بعقيدتهم الفاسدة وأن هناك ديناً يحوي الجميع !.

لا ألومك يا حسان فهم قومك وتخاف أن تخسرهم أو يقتلوك ..

أنا فخوراً بك يا هاشم ، وسأقول الحق أينما وجد الباطل بعد هذه الليلة !

بعد هذا الطريق الطويل وصلوا إلى القرية فجراً

وكان هناك محطة باصات ، فنزلوا بها وناموا على الكراسي ، وأيقظهم حارس المحطة الساعة التاسعة ..بأن الباص قد وصل ..وها هو الآن يتحرك ، قاموا مسرعين بملامح النوم ولحقوا الباص وبدأوا بضرب مؤخرته منددين به أن يتوقف .ركبوا الباص بشق الأنفس ، وذهب بهم الباص إلى نيروبي بعد ثلاث ساعات من الطريق ..

نزلوا إلى نيروبي وقال حسان هيا سنذهب إلى وسط المدينة ، فقال هاشم ..أعتذر لك يا صديقي أنا سأذهب للمطار لأكمل جدولي،

بدأت تظهر على حسان ملامح الحزن ، فهو لا يستطيع الرجوع إلى قومه لأنه خسرهم ، وها هو الآن يخسر صديقه بداعي الظروف ..!!

قال هاشم أعطني عنوانك كي أراسلك ، فأعطاه حسان بحزن شديد العنوان وقال له ..أرجوك لا تقاطعني ..!

أخذ التاكسي هاشم وذهب للمطار ، وقبل أن يقلع لرحلته الثانية ذهب لأكشاك الهاتف العمومية في المطار ..وأتصل على أحمد هذه المره

،

السلام عليكم

عليكم السلام

أهلاً وسهلاً بأحمد كيف حالك

أهلاً من أنت ..هذا صوت هاشم أحقاً أنت هاشم

نعم أنا هاشم وأتحدث معك من نيروبي

أهلاً وسهلاً قد حدثني أبوك عن رحلتك ..كيف أساعدك

أود كتابة مقال عن رحلتي لكن موسى رفض ذلك وأرجوا أن تعمل ما بوسعك كي أرى هذا المقال في الجريدة ..

حسناً لا تقلق ..سأتحدث معه ومعروفك لن أنساه ، فأنت من اكتشفت قاتل أخي وأزال غمامة القلق من ضميري ..

مع السلامة يا أحمد ..

مع السلامة ..

بعدها بدقائق كان النداء من فتاة يافعه باللغة اليابانية للرحلة المتوجهة إلى طوكيو ..

لكنه فهم ماذا قالت عندما تحدثت مرة أخرى باللغة الإنجليزية..

ركب الطائرة وهذه المرة كانت الرحلة الأطول فهي اثنا عشر ساعة ..

لم يقرأ كتاباً أو يشاهد شاشة عرض ..بل هذه المرة نـام نوماً طويلاً وعندما استيقظ لم يتبقى على الوصول إلى نصف ساعة .

لم يقضيها إلا بمشاهدة جبل فوجي الكبير الذي يكسوه البياض ، والغيوم تحوم من حول رأسه كأنها أطياف شبيهه بأطياف كاسبر

..!وكتابة بعض التدوينات عن رحلته في كينيا

يقول عن كينيا "كانت كينيا هي البقعة الجافة والحارة ..هناك فقراء لم يعد بإمكانهم العمل من شدة الجوع ..فهم يحتاجون إلى رعاية وتأهيل صحي شامل على أقل تقدير ...

هناك قبائل تحكم باسم الدين ..وإي دين هذا ..!

دين يضرب النساء ، ودين التخلف والرجعية ودين الانزواء ودين الضدية إما معي أو ضدي ..ودين الوثنية العقلية !!

عجيب هذا البلد يا سادة هذا البلد ..أوسطه (يقصد وسط المدينة) هناك مساجد ودين ملموس وأقلها دين يحميك من الجوع إما بالمساعدات الخيرية أو الرعاية على عكس ها تيك الديانات الوثنية التي تجعل المرأة مجرد عبد مملوك ..إما لإشباع غرائز أو قرباناً

لإ آلهة الطعام أو آلهة الغرائز إن صح التعبير ..!؟

هذا ما كتبه عندما سمع نداء الطائرة بالهبوط ..

وضع حزام الأمان وتهيئ للهبوط ..لكنه لم يعلم حتى أن الطائرة قد هبطت ..وتعجب من قوة المحركات في الطائرة وهيبتها التي تدخل إلى عقلك لتجعل الضوضاء الخارجية عدم في إحساسك ..

نزل إلى المطار .لكن هذه المرة لم يجد الرقي !

بل وجد النظام الأقوى في العالم ، والنظافة التي تكاد أن لا تلاحظ من شدتها .

كان الجميع كأنهم حروف أبجدية كل حرف في مكانه الذي يناسبه ،

وجد بشاشة الوجه ، ونحافة العيون ، والترحيب اليومي بقولهم ..(أوهايو قوزايمس) مع ابتسامة صادقة وليست متصنعه !!

كان يود البقاء في المطار لساعات أكثر من شدة جماليته ، إلا أن صالة القادمين كانت أمامه ..

وبدأ يبحث عن تكسي كالعادة إلا أن هذه المرة قدم له رجل مبتسم وحياه ، وأخذ عن حقيبته وفتح له باب السيارة ..إلى إين لا يعلم !!

لكنه رأى الكثير من الأشخاص ومن معه بالطائرة يفعلون مثلما يفعل ..فركب معه بلا تحدث ..وهذه المرة لم يفاصله على السعر كما يفعل دوماً !

كان يرى أن سائق التاكسي حريص جداً على حزام الأمان فأشار إلى هاشم أن يلبسه لكن أول مره لم يفهمه هاشم وعندما شرح له قد فهم ما يريد ..كان في كل ثانية ينظر إلى المرآة ناظراً للخلف ومتلفتاً يميناً ويساراً ومحافظاً على سرعته المقيدة ..رغم أن المسافة كانت قصيره ..!

عجيب هذا البلد !

أوصله الرجل إلى محطة القطارات (المترو) مجاناً !!

وقد أصاب هاشم بعض الحرج ، نظراً لتصرفاته أو لأقول مسلماته التي إعتاد عليها ..

من الجلوس في القطار والنظر ، والتلفت والفضولية وصولاً إلى الخروج أولاً رغم أنه دخل متأخراً ..!

ذهب بعدها إلى الفندق ، ونام قليلاً لأنه لم يكن يشعر بالنعاس فقد قضى نصف الرحلة إذ لم تكن كلها بالنوم من نيروبي إلى طوكيوا .!

بعد هذه القيلولة استحم وخرج باحثاً عن إفطار أو غداء أو أي شيء فهو لم يكن يعرف الوقت تحديداً ولا يعرف عاداتهم ..

لم يكن يعرف أي شيء عن اليابان سوى أنها دولة متقدمة ومتصدرة تكنولوجياً ..

فلم يكن يعرف ما هي عقيدتهم .!؟ ولم يرى أي مساجد أو كنائس

كان يتمشى بالشارع فيجد يافطات كبيرة وإعلانات كرتونية ، ومهرجانات في الشارع

ونظام أمني قوي رغم قلة أفراد الشرطة ..

كان هاشم يكتب بحثاً عن أهمية العقيدة والتطور ..وهل العقيدة تعيق التطور !؟

قضى أربعة ليال في طوكيوا زار جبل فوجي ورأى حدائق الزهور الطبيعية وكل حديقة تحوي على ألف لون مختلف من الزهور ..!

وصادفه في إحدى المرات (معبد) فأيقن هاشم أنهم وثنيه وصنميه لكن لم يعرف بالضبط من يعبدون بالتحديد .!

يقول في تدويناته المعهودة وهو متوجه إلى الصين

"اليابان " بلد لا ديني بصراحة ..إلا أن الدين لم يكن محفزاً لهم ولم يكن عائقاً عليهم ..

بلد نظامي ، لا أعلم كيف الكبير قبل الصغير والشاب قبل الفتاة يمتثلون لأوامر القانون .

لا تجد عليهم حرج في تطبيق النظام ..هم مستمتعون في تطبيقه ..لم أرى بلداً بهذه القوة ..

فاحترام القانون والمثابرة والعمل الوقتي (أي ثانية بثانية ودقيقة بدقيقة وهلم جرا)

هؤلاء قوم لا ترهبهم قنبلة نووية ولا يرهبهم أي شيء

فما الذي سيخسرونه ..!!

يموت أشخاص ! نعم هذه سنة الحياة

تحزن الأرامل !! بلا شك !

لكن الإرادة لا تموت ، والطموح لا يتوقف ، والحزن هو الوقود الذي يبني النجاحات والتي يخلدون بها أمواتهم ..!

ولولى أمواتهم لما كان هناك نجاحات ، إذن فبلغة فلسفية أمواتهم هم من بنوا هذه النجاحات !!.؟

لولى تلك القنبلة التي سقطت على هيروشيما وناجا زاكي ..لم تكن اليابان هي اليابان في هذا الوقت! !؟

فجر أحد البنايات في طوكيو ..وبعدها بساعات تجد كل شيء على ما هو عليه قبل الانفجار !؟

لكن اليابان تضل دولة ..تعيش في عالمنا .ولا تختلف عنا بكثير ..فهي تعيش بأخلاق طبيعية فطرية كما نحن نعيش ..! وكما أن للفطرة انحرافا !

نجد السلبيات تظهر في كل الدول ..

فاليابان رغم قوته إلا أن هناك عصابات يطلق عليها "الساموراي" وهو رداء ثوري تاريخي لحكام اليابان ..والآن أصبحت مجرد عصابه تسرق الأموال وتسرق الأفكار الصناعية من قبل الشركات الأخرى التنافسية ..

فالساموراي هي شركة

وهو نظام حاكم

وهو نظام إغتيالات موسع

وما أجمل هذا النظام الذي يغتال أي شخصية تريد أن تفسد في الأرض ..

لكنها تضل عصابه حتى القانون لا يقدر عليها .

ومع هذا الوقت وتضخم الأحداث وازدياد الماديات بشكل كبير ..الكثير من اليابانيين قد نسوا الساموراي ..ويتم نعيهم أو الاحتفال بهم في كل سنة أو في الاحتفال المعبدي مجاملة لتاريخهم !!..."

هذا أخر ما كتبه هاشم قبل أن ينزل إلى مطار الصين ،

كان هاشم يحب الصين حباً عظيماً ..احبهم لطرازهم التقليدي ..منازلهم وأشكالها ...ملابسهم ولطافتها ، ولغتهم وأصواتها ..

بعد الإقامة ليلة واحدة في الفندق ، نهض صباحاً كالعادة يخرج ليتمشى ، فرأى الكثير من المعابد هذه المرة ..!

وأثارت هذه الأشكال والأصنام ثورة قلق في فكر هاشم ...وقال إنها مجرد تماثيل لكونفشيوس ..

ذهب إلى محيط المعبد الكبير ، لكنه كان حذراً ألا يدخله ..فهو يكره المعابد ..ومن لا يكرهها ! فهي شرك جاهلي !

نادى حارس المعبد وقال له بالصيني المتعثر ..هل هذا كونفشيوس .!

قال له الحارس وما كونفشيوس إلا مذهباً من عدة مذاهب منها الطاوية والبوذية والشامانية والإحيائية وكثير منها ..!

خرج هاشم من محيط المعبد متسائلاً ..كيف يعيشون في بلد واحد من عدة طوائف .!

بعدها استقل أي تاكسي وذهب لسور الصين العظيم ، وقد أخذ بعض الصور والتذكارات ..ثم استقل حافلة كبيرة للريف الصيني في مقاطعة يونان جنوب الصين وهذه مقاطعة يكثر فيها المسلمين ..

بعد رحلة يوم كامل ..وصل إلى هناك ونزل إلى الفندق المعروف في هذه المنطقة ..

بعد الاستراحة لثلاث ساعات خرج باحثاً عن طعام ..حلال .!

وجد قبالة الفندق مطعم شعبي بسيط ..عليه يافطة مرسوم عليها صورة قبعه صينية بشكل ريفي ورموز صينية ..

دخل المطعم ، وجلس على الطاولة ..وإذا بجانب طاولته ثلاثة أشخاص يأكلون السوشي بشراهة

ونادى على النادلة (شاشي ايه) ضحك الأشخاص عليه .!

قال هاشم ..ولماذا تضحكون !

قالو :لغتك الصينية جداً مبعثرة ونطقك لها محاولة بائسة منك ! لكن قل لنا من إين أنت .ولك أن تتكلم العربية معنا فنحن مسلمون ونتكلم العربية !

قال هاشم مستفرحاً بهم ..أهلاً وسهلاً بكم ..انا عربي ومسلم ...وأحب الثقافة الصينية كلها ..

إذن ..تعال وأنضم لطاولتنا وسنطلب لك ما تريد فهذه الفتاة الصينية لا تفهم عليك وبدأوا بالضحك مجدداً ..

قدم لهم ورحبوا به ..وأطمئن هاشم معهم ..وجلس هاشم مطأطأ رأسه يتذكر ..إيران في أول الرحلة ثم إلى فرنسا ..وكينيا واليابان !

وكأنه أصبح حكيماً وقتها ثم قال لهم "الحكمة شيء يؤرقني فلست أعرف ما هي الحكمة .ولستُ أعرف ماذا يقصد سقراط في معنى الفضيلة ، لكني الآن أعرف ما هي الحكمة ..

أن تجرب الشيئين ..قالوا له ..وعن أي شيئين تتحدث ..؟

قال أن تطبق ثقافتك في أخلاقك فأنت مخلص ..وهذه هي الفضيلة .

وأن تعيش ثقافات الغير ..فأنت مثقف لأكن عشت ثقافتك وثقافة غيرك ..إذن أنت الآن حكيم

ولذى نرى كثير من الحكماء يذهبون ويخرجون من بلادهم ليسافروا ليس عن معالم سياحية بل عن تراث ثقافي يعيشونه ..كي يتلمسوا ذواتهم ..في التغيير ..فلا يعرف الشيء إلا بنقيضه ..وأنت لا تعرف من أنت إلا عندما تعيش ضد أنت ..أي تصارع شهواتك ورغباتك ، لتعرف أنك شخص يهوى الأهواء ..ثم بعد أن تنتصر على أهواءك .تصبح شخصك الأول ومعدنك الأصلي بتخلصك من أهواءك بتعلمك

ثقافة غير ثقافتك ، فالفيلسوف لم يكن بهذه السهولة ..بل انزوى عن شوائب تفكيره الشهواني بكل الأشياء وبدأ يحلق بتفكيره المجرد وباليوغا المفضلة له إما بالتأمل أو بالخشوع والتزهد ..لم أرى حكيماً أو مفكراً أو فيلسوفاً ..هكذا بليلة وضحاها أصبح فيلسوفاً...

يا هذا ماذا تريد أن تقول فأنت تقول كلام عميق ..!

ما أود قوله ..إذا أردت أن تصبح فيلسوف ..مفكر أو حتى ناجح ..تذكر أنه لا يمنعك عن تحقيق أي شيء إلا شيء واحد وهو أقرب من أنفاسك إليك .

وما هو !؟

هـو أنت . ..!؟

أنا !!؟؟

ليس أنت ..أقصد أنت أنت

أنت مجنون يا هاشم !!

قال أحد الأشخاص ..نعم صدقت ، فهو الأنا بالنسبة للشخص نفسه وهاشم لا يقصد أنت أي شخصك بل قالها مثالاً مجرداً.. لـ الأنا المعنوية !

أها قد فهمت ..هذا ..

بعدها وضعت النادلة العشاء ..وقال لها هاشم (شيشا ني) أي شكراً لك ..

بعد تناول طعام العشاء ..وقبل أن يذهب هاشم للنوم ..قال لهم

من هو كونفشيوس !؟

رد أحد الأشخاص ..ولماذا تريد أن تعرف عنه !

فقط أحب التعرف على أفكار الأشخاص

حسناً. سنخبرك ..

كونفيشيوس هو رجل الأخلاق ! وهو فيلسوف أقام مذهب متكامل على السلوك الاجتماعي والأخلاقي وكانت فلسفته قائمة على القيم الأخلاقية الشخصية ويجب أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقاً لمثل أخلاقي عليا كان يحب الزهد ويجب التطبع بالأخلاق الحميدة

قال هاشم ..ما هذا الرجل ...!

أخبرني عن أقواله ..ماذا أطلقوا عليه ..

كانوا يطلقون علي بنبي الصين !

قال هاشم ..يارجل أتخرف ..نبي !

نعلم أن الله بعث في كل أمة رسولا ، لكن أهمهم وأفضلهم قد ذكره بالقرآن ومن لم يذكره فقد انقطع نسله الديني ومع مرور القرون أصبحت أساطير ، ومن ذكرهم بالقرآن كان لهم أثر ..وإن كان أثر محدود إلا أن محمد صلوات ربي عليه كان أعظم نبي ورسالته هي الأبدية ..

عليه الصلاة والسلام ...حدثنا عن نبيك ، فرغم أننا مسلمون إلا أننا لا نعرف سوى أنه أخر نبي وكان زعيم لأعرق قبيلة في العرب ..

هذا صحيح يا إخواني ..لكن كي لا أظلم أحداً إما بتقصير عن ذكر محاسنة أو بإساءة تقتص من شخصه ..!

إذا أردت أن تتعرف على شخص ما وما أهميته ..انظر إلى ماهي أهدافة ..ورسالته ..وأخلاقه وقت الغضب ، وتسامحه وقت الصبر ، وشجاعته وقت الخوف ، ومراقبة لربه ولضميره وقت الخلوة ..وكلامه وقت الغضب ..

نبينا محمد عليه الصلاة وأتم التسليم ..

كان من أشجع الناس فالصحابة يختبئون خلفه إذا أشتد الوطيس ..

وما هو الوطيس يا هاشم .؟

هاه !!

الوطيس إي أذا أشتدت الأمور وتطايرت الرقاب ، وأمتلأ القلب رهبه بمن أمامك

هو النبي الوحيد الذي لم يدعي على قومه قط ..بل عندما أشتد آذاهم له ..دعا لهم بالرحمة وعتب على جهلهم بقوله (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)

بعد نقاش طويل عن النبي جاءت النادلة وقالت الساعة الثانية عشر سنغلق المكان ..

كانوا الإخوة المسلمون مندهشين جداً ولا يجدون إي شيء لنبيهم يقدمونه قرباناً لمحبتهم له إلا بالصلاة عليه ..

شكروا هاشم ، وأرادوا منه أن يرسل لهم كتب عن النبي محمد ، وعن الدين الإسلامي أكثر فأكثر ، فهم لا يعرفون تقريباً من الدين سوى الصلوات الخمس .

وعدهم هاشم بذلك بعدما أخذ عناوينهم وهذا ديدنه مع من يرتاح لهم قلبه ..

ذهب للنوم ..وبعد نومه هانئة مطمئنه ، استيقظ صباحاً ، وتنزه قليلاً ، ثم أذنت المساجد وتعالت الأصوات أن الفلاح بحي على الصلاة !..

كان يوم جمعه ، فجاء مبكراً ، وسلم على المصلين ، ورأى أصدقاءه يجلسون قريباً من الزاوية ..فقاموا له وسلموا عليه وطلبوا منه أن يخطب بهم ..ويعرفهم بالدين الإسلامي .!

قال أنا !!!

نعم أنت يا هاشم فأنت أكثر مننا دراية بالإسلام ..وناهيك على أن خطيبنا لا يخطب بنا إلا عن أهمية الصلاة ونحن محافظون عليها والحمد لله لكن نرى بنظرنا أن الدين أوسع وأشمل من ركوع وسجود ..

أجبروه بعدها ..وقال حسناً. عندما يدخل وقت الآذان الثاني سأخطب ..

كان يفكر هاشم بماذا سيخطب ..!؟

بعدما حان موعد الآذان الثاني ..صعد هاشم إلى المنبر ثم فكر في نفسه ..بخطبة تشد الانتباه ..وتذكر خطبة الحجاج ..وتبسم وارتسمت عليه ملامح الخجل ..مخاطباً نفسه (يا رجل لا أهل شقاق ولا نفاق هم بسطاء جداً) لكنه كان حذق جداً وأراد الخطبة أن تكون لها رهبة

فبدأها بهذه المقدمة "الحمد لله رب العالمين يسمع دعاء الخلائق ويجيب...

يؤنس الوحيد ، ويهدى الشريد ، ويذهب الوحشة عن الغريب...

يغفر لمن استغفره ، ويرحم من استرحمه ، و يصلح المعيب...

يستر العصاة ، ويمهل البغاة ، ومن تاب منهم قبل وأثيب...

يكلف بالقليل ، ويجزى بالجزيل ، ويعفو عن الذى بالعجز أصيب...

من أطاعه تولاه ، ومن غفل عنه لا ينساه ، وله من الرزق نصيب...

يرزق بلا أسباب ، ويدخل الجنة بغير حساب فلا فضح ولا تنقيب...

نحمده تبارك وتعالى ونسأله التنظيم لأحوالنا و الترتيب...

ونعوذ بنور وجهه الكريم من الفساد الإفساد والتخريب...

ونرجوه الأمن والأمان والرضا والرضوان في يوم يسقط الجنين فيه و الصغير فيه يشيب...

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المهيمن والرقيب...

من تبع شرعه والاه ، ومن تقرب إليه فاز بالتقريب...

من أوى إليه آواه ، ومن استحيا منه فليس عليه تثريب...

من توكل عليه كفاه ، و من التجأ إليه فالفرج قريب...

من اعتصم به فهو مولاه ، ومن ارتجاه مخلصا لا يخيب...

من ذكره خاشعا اجتباه ، ومن تاب إليه فهو منيب...

من شكر عطاءه نماه ، ومن تواضع له نجا من التعذيب...

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المقرب والحبيب...

خلقه نعمة ، ومبعثه رحمة ، وشمس سنته لا تغيب...

نظره لحظ ، وكلامه وعظ ، واللفظ منه لا يريب...

نوره يخطف الأبصار ، ومسجده علم ومزار ، وأنفاسه مسك وطيب...

من سلم عليه رد عليه السلام ، ومن صلى عليه فهو من الجنة قريب...

من رآه في المنام فقد رآه ، ومن بايعه فقد بايع الله ، ومن دعا عند قبره أجيب...

من نال شفاعته اجتاز ، ومن شرب من حوضه فاز ، فلا عتاب ولا تأنيب...

هو تاج أولى العزائم ، وقدوة لكل صائم وقائم ، وباتباعه تحلو الحياة وتطيب...

اللهم صل وسلم وبارك عليه عدد ما وسعه علم الحساب من تربيع وتكعيب...

وكلما أثنى عليه شاعر أو أديب ، وطالما عرف حقه عالم أو نجيب...

و على الصحب و الآل و كل من انتسب إليه من بعيد أو قريب...

ثم أكمل خطبته في (فقه الأخلاق) والالتزام بالأخلاق ثم الأخلاق ..كان لا يعرف الدين حق معرفة ..لكنه تكلم بما يعرف وفق الشرعية ، لكن الغريب بالأمر أنه لاحظ إزدياد المصلين في المسجد ، وهذا ليس بغريب ! لكن الأغرب أنهم يلبسون زي الشرطة !!؟؟

من البديهي أن الشرطة تريد القبض عليه لأنه خطب دون رخصة ! وهذا مخالف للقانون .

وبدأ يتلعثم في نهاية الخطبة ، ووضع الخاتمة بدعاء الاحتراز من العدو ، و هاشم بدأ يفكر بالهرب بعد الصلاة !

وعندما نزل إلى مكان الإمام ليصلي جعل أحد المصلين يتقدم للصلاة بدلاً عنه ، وذهب ليبحث عن مكان ليصلي فيه قريب من باب الخروج ..!

صلوا الناس جميعاً وعند التسليم ..قامت الناس تهب للخروج ودخل بينها محاولاً أن يخفي نفسه ، وخرج من المسجد بسلام !! كما دخله أول مره بسلام !!

نسي أن يودع أصدقاءه وأخذ تكسي بمبلغ باهظ للوصول إلى بكين ...

عندما ابتعد التاكسي عن المنطقة قليلاً ، إلتفت هاشم إلى الخلف وقال وداعاً ..يا أحبتي .

دامت الرحلة يوم كما كانت الرحلة عندما قدم ..

ثم وصل إلى بكين الساعة الثانية عشر مساء ، لا نعلم لما هاشم لم يذهب للفندق كي يبيت ليلته الأخيرة ، بل ذهب مباشرة إلى المطار ، ونام فيه ..بعد أن أتم حجوزاته لصباح الغد ..

استيقظ صباحاً وأراد أن يذهب لصالة المغادرين إلا أن الرحلة ألغيت ..!

ماذا لماذا تم إلغاءها !؟؟

تم إصدار قرار رسمي من وزارة الخارجية بإلغاء جميع الخطوط المتوجهة إلى أفغانستان !

ولكن لماذا تم إلغاؤها ..!؟

لا نعلم يا سيدي

وهل يوجد رحلة للرياض ..؟

لحظة دعني أبحث ...

.... نعم وجدت لك الساعة الحادية عشرة أي بعد ثلاث ساعات ..

إذن أحجزي لي مقعداً ..

رجع هاشم أشبه بالحزين ، لأن جدوله السياحي الذي أراده لم يكتمل ..

جلس على مقعد الانتظار وعندما هم لفتح كتابة وتدويناته ، رأى هاتفاً عمومياً ..

فقال .دعني أتحدث مع أبي لأخبرهم بقدومي ..

إتصل على أبوه ..لكنه لا يتلقى جواباً..!؟

ألو ...ألو...ثم يسمع صوت خرفشة فيغلق تلقائياً ..

بعدها اتصل على أبو ناصر ..والحمد لله قد رفع السماعة ..

السلام عليكم ..كيف حالكم جميعاً

من ..! هاشم ..أهلاً وسهلاً بك ..قد اشتقنا لك ..

جداً جداً سعيد لسماع صوتك يا عم أبو ناصر

بارك الله فيك ..ولكن متى تعود قد قاربت الشهر وأنت مرتحل ؟

سأكون الليلة إن شاء الله عندكم ..

حسناً سأقول لأم ناصر أن تجهز لك غرفة أخرى ..

ولكن أين غرفتي وكتبي وأشيائي ؟

أعتذر لك يا هاشم قد قدمت لنا إخلاص وستعيش لمدة مع خالتها .؟؟

إخلاص ..؟؟ من ...خالتها !!؟؟

لا أذكر يا عم أن لأم ناصر أقرباء .؟

بلى يا ابني وعندما تعود سنخبرك بكل شيء ..

حسناً يا عماه مع السلامة ..

كان يفكر هاشم

من هي إخلاص يا تُرى .؟

ومن تكون .؟

وكيف تكون؟

ذهب إلى المقعد مره أخرى وجلس يكتب تدويناته على ما حدث معه بالصين

الصين ...بلد عريق جداً ليس بلد الأديان السماوية ، بل الأديان الأرضية

كثير من الأديان والمذاهب هي في الصين ...

لكن كيف شق طريقة من بين مليار وستمئة مليون نسمة هذا الكونفوشيوس ؟؟

ماذا درس ..ماهي مبادئه ..!

أتمنى من كل داعية أن يذهب للصين .

فبلا شك المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن القوي .

فما ذا لو كل الدعاة ذهبوا إلى الصين ..

قوة اقتصادية وبشرية ستغير العالم ! !

ما ذا سيحدث لو كنا ألفين مليون مسلم على وجه هذه الأرض ..؟؟

بدلاً من أن نكون ألف مليون وقلة قلائل مضطهدون ! ! !

ما ذا لو كانت الصين حليفة استراتيجيا لدول الخليج ..

لماذا لا ننظر بالعين المجهرية على هذه الثروة ..."الصين "

بهذا العدد وبهذه القوة سنحكم العالم ..ستكون لنا اليد العلوية ! !

بدلاً من أن نكون متشتتين بعضنا يود ديموقراطية فرنسا ، والآخر يفكر برأسمالية أمريكا والطرف الجاهل يفكر باشتراكية روسيا الاجتماعية ..!؟؟

ثم أغلق مدونته وفتح كتابة المفضل "النقد بالبرهان "

كعادته يفتح كتابه عشوائياً فوقعت عيناه على كلمة الحب ! !

والغريب بالأمر أن صفحة الكتاب ترمز إلى الرقم ١١

توقف هاشم عند هذه الصفحة وقال إن في هذه الصفحة لشأن ! !

فماذا يرمز رقم ١١ هل يعني أن ١+١=٢

أي حبيب وحبيبة ! !

كان هاشم لا يعرف من الحب سوى الزواج ولم يعلم أن الحب هو ليس زواجاً فقط!

بدأ يقرأ رأس الصفحة ...

"الحب"

إن الحب لشيء عظيم ، ولا يختلف اثنان على عظمته !

وماله من تأثير قوي على القلوب ...

فكيف بوحش يعيش في الأدغال ويعيش على لحوم الحيوانات ..ويقضي طول وقته يفكر كيف سيأكل ! ! !

ثم يركض بالغابة باحثاً عن طعام ..فيجد فتاة متكئة على شجرة بلوط ويحدق بها ..ثم لا يستطيع إيذائها

وتراه ثم تقترب منه وهو لا يستطيع أن يقوى على قلبه ليؤذيها فيضل كالصنم أمامها! !

و تقترب منه فتضع يدها على صدره ..وعيناها محدقة بعيونه ..قائلة إنك شخص طيب ..!

فبهذه اللمسة الحانية ، والنظرة الساحرة والتقارب الروحي بينهما يرجع لطبيعته الحقيقية إنساناً ذو قلب نابض ، يود الحياة مره أخرى وكأنه أصبح طفل يصرخ لكي يحافظ عليها

لا يعلم هذا الوحش كلمة أحبك ! فيقول لها ..اودك ..أنا أودك ..

فتقول ..وأنا أحبك أيضاً ..!

فيقول الوحش ..ماذا ..أحبك !!

نعم أحبك .!

أحبك !!؟ أحبك !!؟ إن وقعها على قلبي القاسي لجميل وإن لهذه الكلمة لمعاني أبدية تعيش في دواخلنا ..!؟

فيقول لها أحبك .

وتقول أنا أحبك أيضاً

فتقترب منه وتتذوق شفتيه الجافة وترطبه بلسانها وتقبله قبله دافئة فيسقط منه رمحه الذي بيده ويحتضنها ..ولا يعلم أن الرمح الذي سقط هو الذي قد طعن به نفسه بشفتيها .!

انتهت القصة !

نعم والحب لا يقتضي على هذه الأجواء الشاعرية بل يتبعه حس بالمسئولية والاشتراكية ..والاحترام ..والحب المتدفق ، لكن قبل كل هذه المسئوليات ...استمتع بحبك ..

والحب خلاصة ..هو النور الذي يشع بقلبك فتراها في أصفى صورة ..

هي تلك الشمعة والتي ما إن أضأتها قد رأيت حبيبتك بجانبك وما إن انطفأت انطفئ الحب بينكم ..

كان هاشم يقرأ هذه الكلمات ..وكأن شيء قد حصل له ..شعور روحي يعطي نكهة عقلية كلما فكر فيه ..!

الحب ..! نعم الحب ..! يا هاشم ..!

كان نداء الطائرة أسبق إلى هاشم من الحب ..فهاشم هو شخص ذو أولوية وعندما سمع النداء ..أغلق الكتاب ورتب حقائبه وركب الطائرة ..

لم يكن هاشم هو نفسه ذاك الهاشم الذي صعد الطائرة إلى طهران ثم إلى فرنسا وإلى كينيا وإلى اليابان ثم الصين !

بل كان سارح البال ...مهموماً بلا هم ..معشوقاً بلا عشيقة ..وكأنه أكتشف ذاك الكنز الذي يبحث عنه في بقاع الأرض وهو أمام ناظريه ...نعم هو الحب ..!

بعد خمس ساعات أخذت هاشم من التفكير المطول في معاني الجمال والحب ..

هبطت طائرته في مطار الرياض ..ثم نزل إلى المطار وكان متوجهاً إلى صالة القادمين ..فناداه المضيف ..يا هذا ..! حقيبتك قد تركتها على الكاو نتر !!!؟؟

صاح هاشم آآه ! قد نسيتها ..شكراً لك

أخذ الباص إلى منطقته ..وفي الباص عدة أشخاص سعوديين ..

كانوا يتحدثون طوال الطريق وهاشم صامتاً أو لأقول سارحاً لا يعلم مالذي يدور حوله من نقاش ..!

هيه أنت يا هذا ...إين أقعلت طائرتك ..!

هاه ..! للتو قد جئت من الصين !!

ضحك الركاب ..وقال من تحدث لهاشم ..أنا أقصد طائرتك العقلية إنا نراك غائباً عن الوعي ..

فضحكوا مره أخرى ..

وقال هاشم ...الحب ...الحب ..

ضحكوا مره أخرى بصوت أعلى ...أنظر إلى ماذا يتحدث يقول الحب ..!!

قال هاشم ما ذا تعرفون عن الحب !

قال الأول ..أنظر يا هذا الحب هو الجنس بلا منازع فبدون جنس لن تجد حب !! لك أن تتخيل أن تعشق امرأة فقط لأنها امرأة ..ثم صاحوا ضاحكين ..

وقال الثاني. أرى أن الحب عاطفة مجرد عاطفة وما إن تشبع منها عاطفياً تتركها ..فقط ..

وقال الثالث ..الحب عندي هي من تكون لي أشبه بالخادمة أو العبدة تحت غطاء (الرجال قوامون على النساء فيما فضل الله ..!!!!)

كي تشبع شهواتي وغرائزي ثم تشبع لي بطني بطبخها ثم أتركها وأعود إليها متى ما دعت الحاجة فكنت أتمنى لو كانت مسجونة فهذا أشبه بالزيارات ...ثم ضحكوا مره أخرى ..ضحكاً شديداً ..

وصاح سائق المركبة ..قد أزعجتموني ..!!! وأنت يا فتى ما ذا ترى الحب ..؟.

الحب ..لم أعرفه إلا قبل ست ساعات فقط ..؟

الحب يا سادة جنساً عندما نكون دواب تشبع غرائزها الطبيعية

والحب "احتراما" عندما نود أن نظهر لأبنائنا أن والداهم يعيشون في اتساق ومحبه ونكون لهم قدوة في حياتهم الزوجية ..!

الحب عشقاً عـندما نـكون...(فصاح الراكبون انتبه سيارة لا تصدم .!.!) صاحوا قبل أن يكمل هاشم كلمته ..!!! وأكملت عنه مزامير السيارة الأخرى منده باحترام الطريق ..!!!

فقال هاشم بمرونة ..لا تسرع مره أخرى يا سائق ..

لم يكمل هاشم كلامه ..وأوصلوه إلى المنطقة ..

نزل وأنزل حقائبه معه وبدأ يمشي ..فالمسافة لم تكن سوى مئات الأمتار ...

كان يتلفت وهو ينظر إلى الأزقة التي كان يعيش بها صغيراً!

ويقول ...ويحي لما لم أر هؤلاء الجيران من قبل ..!! فعندما كان صغيراً كان لا يذهب إلى سوى المدرسة والمكتبة ولا يرى إلى غايته بالطريق !

طرق باب المنزل ..وإذا بهاشم يسمع صوت (لحظة سأفتح لك ..يا عمي أظن أنه ابننا هاشم)

!!! من هذا الصوت يا تُرى !! أيعقل أن تكون إخلاص !! ولماذا تقول ابننا ! لستُ صغيراً جداً ؟؟؟!

أرتبك هاشم ..لا يعرف من سيفتح الباب ومن سيكون وكيف سيكون .!

..وعندما فُتح له الباب

وإذا بشابة في العشرينيات من عمرها ، شعرها ناعم ...وجسمها رشيق .وكان هاشم يعدد صفاتها ..فصاحت ..! ألا تستحي !! يا هذا !!

قال هاشم ويلي أظن أنها تعرف أني أحدق بها ..قلت ماذا !

قالت ألا تدخل يا هاشم ..هذا بيتك .إنك خجول .! !

تعجب هاشم !وقال ألا أستحي أم أني خجول ..لا أعلم إي صفة أنا ..!

قالت :صفتك هي الدخول ...ادخل إذن .!

دخل هاشم وصاحت ساره ..هاشم ..هاشم لقد وصل ..وقام أبو ناصر وأبو هاشم من الصالة ترحيباً له ..أشبعوه قبل واحتضان ..فكان هاشم خجولاً لأن إخلاص تنظر له ..

جلسوا كلهم في الصالة وجلبت له إخلاص ماء وأعدت الشاي احتفاء به ..

كان يعلم أن هذه الإخلاص ليست بالأنانية ولكن أشبه بالمغرورة !!؟

عندما ذهبت إلى إخلاص إلى المطبخ ، قال هاشم يا عمي من هذه الفتاة !

قال أبو ناصر ..إخلاص هذه تدرس الطب النفسي وهي تدرس أخر عام في الجامعة ..

لكن يا عم لم أرها عندما كنت أدرس بالجامعة ؟

لا يا هاشم هي تدرس في بريطانيا ...

وهي دائماً مرحه وكوميدية لكنها مثابرة ومجتهدة ولا أخفيك أنها تحب الشعر فهي أديبة !!

كانت سارة بالمطبخ تقول لأبنة اختها ..هذا هو زوجك يا إخلاص ..أرجوك هو شهم وأعرفه ومحترم وهو سيناسبك ..

ردت إخلاص ..لا أؤمن بالحب يا خاله أريد شخصاً ثرياً يدعمني بعد زواجي بافتتاح مجمع عيادات طبي .!

قالت سارة ..ولكن يا إخلاص هو الأفضل لك..!

ردت إخلاص يا خاله أنا طبيبة نفسية وأعرف الشخصيات وشخصيته لم ترقني قط !؟

قالت سارة : ما أعندك يا فتاة أنتي لم تجلسي معه إلا دقائق ..إذهبي وأجلسي معهم ..

إخلاص...حسناً

جاءت إخلاص ومعها الشاي ..

أبو هاشم /كيف حالك يا إخلاص ..

إخلاص /أهلاً يا عم ..

أبو ناصر/هذا هو هاشم الذي قلت لكي عنه

هاشم /ماذا !!!

أبو ناصر هامساً لهاشم /أصمت

إخلاص /أهلاً وسهلاً يا هاشم

هاشم /أهلاً بك ..!!

كان هاشم يخاطب نفسه ..غريب جداً كانت أمام الباب لا تستحي مني ، والآن يملئها الخجل .!

كانت جميلة جداً رغم ذلك كان هاشم لا يطيقها لأسلوبها .!!

هاشم /حدثيني يا إخلاص

إخلاص/عم ماذا .؟؟؟

هاشم /عن الطب النفسي سمعت من أبو ناصر أنك الأولى على دفعتك في السنة الثالثة !

إخلاص /دائماً تحرجني يا عمي أبو ناصر

أبو ناصر/تبسم

إخلاص/الطب النفسي قسم يحتاجه المجتمع مثله كمثل الطبيب العضوي ، فتخيل أن مجتمع بلا صناعة أو مجتمع بلا زراعه ..كيف سيكون مردوده للمجتمع ..! الأمراض ..صح ! ! إما بنقص الفيتامينات التي لا نعلمها زراعياً ، أو بنقص الأدوات التي بدونها لا نستطيع إزالة العوائق التي تواجهنا صناعياً ..فالطب النفسي مهم جداً

هاشم /أممم جميل

ساره /تـعالي يا إخلاص أريدك في المطبخ

أبو هاشم راداً على هاتفه /أهلاً صديقي ..اها .حسناً سأتي إليك ..

هاشم /سأذهب إلى النوم الآن ..

أبو ناصر /سأذهب إلى المكتبة

كان هاشم يفكر ..عندما دخل غرفته ..هل من هو معقول .! لا يا هاشم غير صحيحة !

ولما لا يكون صحيحاً..! أيجدون أفضل مني ! ! لا ..ومن أنت الذي يريدونك فهي أفضل منك تعليمياً ...وتريد رجلاً ذو ثروه ..

كان هاشم يخاطب نفسه بهذه الأحاديث ...

ونام ليلته مضطرباً بالتفكير ..!

في الصباح الباكر أيقظه أبو ناصر ..هيا استيقظ يالك من كسول ..هيا سنذهب برحلة إلى خارج البلدة .

هاشم /دعني أنام ياعماه ..وإلى إين ..أنا متعب !

أبو ناصر /إلى رحلة برية ..سنذهب جميعاً ..حتى إخلاص..!

هاشم وكأنه صعق على رأسه محاكياً نفسه كالعادة "..إخلاص..! تلك المغرورة ..الجميلة !

سأحطم غرورها هذا النهار ..!

حسناً يا عماه سأنهض

ذهب أبو ناصر لإخلاص وأيقظها ..هيا يا ابنتي إستيقظي ..سنذهب إلى رحلة برية ..

يا عمااه لدي بعض الدروس النفسية أود مراجعتها ..

أبو ناصر/ستراجعينها مع هاشم في الرحلة !

إخلاص /هاشم !!

قال نعم هاشم ..كان يظن أنها تحبه ولكنه كان لا يعلم أنها تود إغاظته ..

إخلاص/حسناً سأنهض .....

حسناً يا هاشم سأحطم لك شهامتك ..!

بعدها بدقائق ركبوا جميعاً السيارة وذهبوا إلى شرق الرياض ..

بعدما وصلوا أنزلوا جميع أشيائهم ونصبوا الخيمة ..

تذكر هاشم تلك الخيمة !!!

بدأت سارة بإعداد الطعام ، وبدأ أبو هاشم وأبو ناصر يتنزهون ..

وقال أبو ناصر ..يا هاشم خذ إخلاص وتنزهوا ..

قال حسناً ياعماه. وأخفض صوته قائلاً :قد واتتني الفرصة الآن لكي أحطمها .!

قالت سارة أسمعتي ما يقوله عمك! أطيعي الكلام وأذهبي ..

قالت هذه فرصتي كي أحطم قلبه ..!

هاشم /تعالي يا إخلاص لنتنزه

إخلاص/سآتي معك يا هذاااا

هاشم / ههه ألا تعرفين أن لدي إسماً .!

إخلاص/لا أود ذكره إسمك لا أحبه

هاشم /لكن اسمك جميل جداً

إخلاص/أنا أعلم بذلك

هاشم /لكنك جداً مغرورة .

إخلاص/وأنت جداً مستهتر فكيف تسافر وحدك !! حدثني عن سفرتك ..

هاشم وهو يمشي معها قائلا: أتعلمين يا إخلاص أن الأنسان عندما يسافر فهو لا يسافر بجسده فقط ..بل في عقله ، ومشاعر ..وأهمها قلبه ...قد رأيت الفقراء في كينيا ..وتقطع قلبي ..كدت أن أموت مرتين وأمتلأ قلبي رهبة ...رأيت الرقي في باريس واستيقظت مشاعري

وذهبت لإيران وتقطع ضميري على ما يفعلون هناك ..ثم إلى اليابان وأندهش عقلي ..

إخلاص/أريد أن أصارحك بشيء

تفضلي يا إخلاص ...

لماذا لم تتزوج إلى الآن ..!؟

إخلاص عزيزتي الانسان عندما يود الزواج فهو يبحث عن نصف الآخر ليكمله ..

لكن ألا تعلمين أن الأنسان يجب عليه أن يكمل نصفه الأول ..أولاً !! ثم يفكر بالزواج ..!

مثلك أنتي ..أرى أنك تثقين بنفسك ، وتدرسين قسماً لا معاً ويفيد المجتمع ، وكما أخبرني عمي أنتي أديبه ..!؟

نعم أنا أديبة

حدثيني قليلاً من شعرك ..!

ليس الآن يا هاشم ..

أرجوك أود سماع بعضاً من ذائقتك الشعرية !؟

حسناً يا هذا (ماطه بشفتيها غنجاً ..!؟؟

اغرف أمواج السنين

، اغرف أمواج البحر

..حضني محتاج لحنين

،، وعيوني عذبها السهر

قلي وش بقى بعدك يقين

وريح عطرك لو تشمه اندثر !

بدأ هاشم بالتصفيق قائلاً ..ما هذا يا إخلاص ..جداً رائعة

احمرت خدود إخلاص و على استحياء قالت يا هاشم لا تقل هذا أنا سيئة في الشعر ، وزميلاتي يقولون أني مجرد طبيبة نفسية ولا أعرف كيف أغزل شعراً ..

يا إخلاص أنا من هذا اليوم سأسميك ..الأديبة النفسية ..

وأعتذر لك أنتي لستي مغرورة بل على العكس أنتي جداً رائعة وجميلة وأخطأت التقدير في أنوثتك ..!

لا تعلم ما ذا تفعل إخلاص عندها ، فقلبها بدأ يرجف وخدودها أحمرت ..

ثم نادتها من بعيد ساره ..إخلاص تعالي أريدك ..

ذهبت إخلاص على خجل وعجل إلى سارة ..

ثم سكتت سارة ..ودخلت إخلاص الخيمة ..تراجع مشاعرها .!!

كان هاشم ..يفكر وقتها ويقول ..ما أغباني ..سحقاً للفلسفة التي درستها وسحقاً للمنطق الملتوي الذي هو أنا في حياتي !!!

كيف يحصل ذلك ! من المفترض أن أكون أنا من يتغزل بها في الآدب وليست هي .!!

ماذا سأفعل ..وماذا سأدرس أو سأحفظ ..

ناداه على قرابه منه ..أبواه يا هاشم الغداء جاهز ..تعال إلى هنا !

بعد الغداء صلوا صلاة العصر وكان هاشم هو إمامهم ..وتذكر أيضاً صلاته في الصين وابتسم .!

كانت إخلاص في هذا الوقت تفكر ..ومشاعرها مضطربة فكلما اقتربت منه أو نظرت له بدأ قلبها يرجف وينبض أكثر فأكثر ..(أيعقل أن أكون قد وقعت بحبه ، كيف ذلك أنا لا أريد رجلاً فقيراً بل ثرياً ...وهل الحب يعرف الثرى أو الثريا يا إخلاص !! ..لكن لا أعرف وجدت عنده مالم أجد عند أبي وأمي ..الحنان والأبوبة والامان والحب والعطف ..هو نعم هو !

كانت تحدث نفسها هكذا عندما قطع عليها هاشم حبل أفكارها وخواطرها بالسلام من الصلاة !!

بعدها قال أبو ناصر قد قاربت الشمس على المغيب هيا لنذهب ..

فرتبوا أمتعتهم ونظفوا أماكنهم وتحركوا ..

في المنزل وعندما قاربت الساعة العاشرة مساء ..قال هاشم سأذهب إلى غرفتي

ولا تزال إخلاص في غرفتها منذ أن جاءت من الرحلة !!

دخل غرفته ، وبدأ يقرأ في كتبه ...لكن هذه المرة لم يجد أي طعم لأي شيء يقرأه أو يفعله !!

إنه الحب ..نعم ..هذا ما أرق هاشم .!

كان هاشم صريحاً ..فقال في نفسه ..هم أرادوا مني الزواج بها قبل أن أحبها ..والآن أنا أحبها سأذهب لأتزوجها الآن ..!

طرق باب غرفتها ..فقالت ..أدخلي يا خالة ..فدخل هاشم ..

فكادت تموت من الحياء ..وقلبها يخفق وقالت ..أخرج ما ذا تريد !! ألا تستحي !!!

فقال لها هاشم ..ألا أستحي .!! وصفتي هي صفة الدخول !!؟

ماذا تريد الآن .!!؟؟

أود الزواج معك !

ماذا قلت !!؟؟ أعد لم أسمعك !

أقصد أود الحديث معك !

حسناً إجلس .

إخلاص ...أنا أحبك وأود الزواج منك ...

جلست إخلاص على الكرسي منتشيه من هذا الكلام !

أفعلاً يا هاشم ..!

قال هاشم ..لم أجد فتاة مثلك عاطفية إلى هذا الحد! قد أخبرتني خالتي سارة أنك كنتي تبكين عندما يطلقون عليك أنتي طبيبة ولستي شاعرة !

لكن أعلم أنك شاعرة وطبيبة بارعه ....إخلاص ..أنا سأحمي قلبك ، وسأكون أميرك ..أحبك إخلاص يا حبيبتي .

عندها اشتعلت عاطفة إخلاص مع أنوثتها فقال

أعبدك ...أحضني إجعلني أرتوي منك ..فأنت من سيحميني وسيطبب على قلبي وسيكون لي وعاء يحويني أو رداء ألتحفه ..!

هاشم /أحبك جداً !!!

إخلاص/أهواك جداً !!!

هاشم / هل تتزوجينني

إخلاص/بالطبع أريدك أنت ولا أريد أي رجل ثري. فأنت لم تكن ثري بمالك لكن ثرياً بقلبك ..

بعدها قال هاشم حسناً سأذهب ، وغداً سأحدث أبو ناصر وخالتي ..

ودعها وكان يطير من الفرحة ونام في غرفته أو لم ينم من فرحته !!

وفي الصباح المبكر. اجتمعوا على طاولة الطعام ليتناولوا طعام الإفطار ..ثم قال هاشم ..يا عم ...عندها عرفت سارة وقالت إخلاص تعالي معي أريدك في المطبخ ..

أبو ناصر / ماذا تريد يا هاشم

عمي ..أنا أحب إخلاص ..

أبو ناصر /نحن نعرف ذلك !

هاشم /ماذا !!! أتعرفون حقاً ومنذ متى !

أبو هاشم مبتسماً /منذ الصين !

هاشم /ماذا الصين !! وكيف عرفتم .؟

أبو هاشم /ابني اود إخبارك بشيء عندما ذهبت أنت لرحلتك السياحية ..أنا رجعت إلى الصين لمراجعة بعض الأمور وعندما ذهبت إلى المطار بوقت مبكر ، أعطيت رجال الأمن صورتك ونسخه من جوازك وقلت ألغوا رحلته إلى أفغانستان بأي سبب !!

هاشم /أبي لماذا فعلت هذا !!!

أبو هاشم /هناك إضطرابات يا إبني ومظاهرات وخفت عليك !

هاشم /لو تعلم ما حصل لي لما قلت مظاهرات !!

أبو هاشم /ماذا حدث !!

هاشم /لا يهم أكمل

وبعد أن إتصلت بي ..كنت خلفك مباشره ..لذى كنت أحاول إخفاء النغمة بحقائبي ..

هاشم /الآن عرفت صوت الخرفشة من إين !

أبوهاشم /أي خرفشة !

هاشم /لا يهم أكمل يا أبي

ابو هاشم /وبعد تحدثك مع أبو ناصر ذهبت أنت مباشرة إلى كتابك "النقد بالبرهان" وكنت تقرأ عن الحب ..!!

هاشم /وماذا يدريك أني أتصلت بأبو ناصر

ابو هاشم /ياحبيبي يا إبني أنا اتصلت على ابو ناصر بنفس الوقت ووجدت أنه مشغول ..

هاشم /إذن هكذا هي اللعبة !!

هاشم بدأ بالحديث وقال ..من المؤلم أن ما سأقوله لن يفاجئكم فأنتم تعرفون كل التفاصيل ..أود الزواج من إخلاص ..

فنادت سارة من المطبخ (ياهاشم هي موافقه) كانت إخلاص تربت على سارة إستحياء ..ياخالة ياخالة أرجوك ليس هناك داعي لهذا الكلام

قال هاشم !! حتى سارة معكم في اللعبة ..!

قال أبو ناصر ..هاشم

ناولني كتابك النقد بالبرهان !

ماذا ..!؟؟ وماذا تريد به

أعطني إياه ..

حسناً خذه ..

بدأ يقلبه أبو ناصر ..

وألتفت إلى أبو هاشم ..وقال كما قلت لك يا أبو هاشم ..نعم

قال هاشم ماذا ..!! وماذا قلت له !!

قال أبوناصر ..هذا الكتاب رأيته معك بعد يومين من حادثة المثقف أحمد !

من إين جئت به وهو بدون أسم ناشر أو مؤلف !!

أعترف يا هاشم ..!

يا عم هذا كتابي ..قد خطيته بيدي ..

أبو هاشم /إبني إذا كنت تود التأليف فسأعمل على دور نشر لك !

هاشم /لا يا أبي لا أزال في رحم الحياة ولا أزال أرضع المعرفة ، ولا أود أن أكتب حالياً سأقرأ فقط .!

أبو ناصر /حسناً دعونا نفرح ..هاشم إذهب وأجلب لنا من السوق بعض الحلويات والعصير وأنا سأتصل بالأمام ليأتي بعد المغرب ..!

فخرج مسرعاً هاشم يبحث عن بعض المحلات ، وهو يدور ويلتفت رأى محل كبير وبجانبه مكتب بريد ..وقال لقد وجدت المحل ..

دخل المحل وأخذ ما لذ وطاب من حلويات وفطائر ومرطبات يتلذذ بها الانسان

عندما خرج ..تذكر صديقه !!

وقال لا بد أنه أرسل لي شيئاً بالبريد !!

ودخل مكتب البريد

دخل وسجل رقمه السري واسمه أمام الكاو نتر

فأخبروه أن لك بريداً من كينيا !

ماذا !! يا إلهي أني متشوق جداً .!

فتح الرسالة على عجالة وهو سعيد جداً ، فكيف لا يسعد وهو عاش مغامرة جميلة في كينيا ..

الرسالة تقول "من حسان الكابتن إلى صديقي الذكي هاشم

السلام عليكم ورحمته الله وبركاته ، لا أعلم هل ستصل هذه الرسالة لك أم لن تصل ..لكن أود إخبارك أنه بعدما ودعتك بيومين جاءتني إمرأة من قبيلتي وقالت نريد صديقك ونود أن يعرفنا بالإسلام الذي يحفظ حقوقنا ..فأخبرتهم أنه سافر ، لكن قلت هناك مكاتب كثيرة في نيروبي وجاليات إسلامية تعلمك كيف الإسلام..

والبشارة بعدما أسلمت جميع نساء القبيلة ، أسلموا جميع الرجال معهن ..إما مجاملة أو احتراماً لحقوقهن أو إيماناً بالإسلام ومدى صحته لكن لا أعلم لكني أكاد أجزم بأنهم عرفوا معنى الإسلام وتقبلته النفس الفطرية ..وصديقنا المسلم (المسيحي سابقاً) يبلغك التحية والسلام ..وجلب معه زوجته وأسلمت ...وها نحن الآن افتتحنا أنا وصديقي وزوجته مكتب رحلات سياحية ومكتب للحج والعمرة في نيروبي ..وإن قرأت هذه الرسالة ..فأعلم أننا بانتظارك لتزورنا ...

هاشم لم يقل إلا (آآآه ما أعظمه من تاريخ)

تـزوج هـاشم بعد عدة إيام ، وعمل حفلاً كبيراً ضم العديد من رجالات المدينة ، والمثقفين

منهم أحمد وموسى(أبو حسين) وخالد ، وأساتذة جامعته ، ومدير المكتبة ، وضباط الشرطة منهم عبدالرؤوف ، وأيضاً وجد حمدي الدكتور ...قائلاً له (عندما عرفت أنك ستتزوج فرحت لك وطلبت من الضابط أن يسمح لي أن أقضي الليلة في فرحك فقط) ..والجيران ونساء الحارة وإخوة سارة وأزواجهم والكثير منهم ..وأخوه سالم وزوجته وأخوه الثاني وزوجته أيضاً قدموا من عسير

بعد الزفاف بليلة ..ذهب إلى موسى وطرق الباب عليه ..ووجد شاباً .وقال له أنت حسين ..ماذا تريد أن تصبح إذا كبرت ! !.

فأحتضنه هاشم وقال نادي لي أبوك ..

قال موسى ..أهلاً بك وقد أخبرني أحمد وأنا موافق سأنشر لك المقال ..

قال هاشم..يا موسى ..هو ليس مقالاً..

هي رواية قصيرة أسمها "في عيون هاشمية "

...عاشها هـاشم وقرأها الجميع ..!

بقلم /نائل .... العنزي ..